مجموع مؤلفات ورسائل معالي الدكتور

محمد بن سعد الشويعر

تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية

تأليف

معالي الدكتور

محمد بن سعد الشويعر

رحمه الله تعالى وغفر له

(١٣٥٩هـ - ١٤٤٢هـ)

اعتنى به الشيخ

أحمد بن محمد طاهر الأنصاري

تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية

ح خوله محمد سعد الشويعر، ١٤٤٦ هـ

الشويعر ، محمد بن سعد

تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية./ محمد بن سعد الشويعر .-

الرياض ، ١٤٤٦ هـ

١٦٨ ص؛ .. سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٣٤٦٧

ردمك: ٩-٣٥٥٦-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٣٤٦٧

ردمك: ٩-٣٥٥٦-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الخَامِسَة

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

طبعة جديدة ومحقّقة

مَجمُوعُ مُؤلَّفَاتِ ورسَائِلِ مَعَالِي الدُّكتُور

مُحَمَّد بن سَعد الشُّوَيعِر

تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية

تأليف

مَعَالِي الدُّكتُور

مُحَمَّد بن سَعد الشُّوَيعِر

رَحِمَهُ الله تعَالى وَغفَرَلهُ

(١٣٥٩هـ - ١٤٤٢هـ)

اعتنى بِهِ الشَّيخ

أحمد بن محمد طاهر الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(أما بعد) فإنه مما حمدت الله ﷻ عليَّه أن شرفني بحمل هذه الأمانة العظيمة ومواصلة الأيام بالليالي حتى يخرج تحقيق هذا الكتاب الذي نفع الله به الإسلام والمسلمين في شتى أرجاء المعمورة وأقول أن هذا الكتاب لو لم يكن لمؤلفه رحمه الله سواه لكفى به نصرة للحق وأهله وبياناً لدعوة الرسل فإن هذا الكتاب قد كبت الله به نواياً فاسدة وأزال مفاهيم خاطئة، حتى إنني أجزم أنه لم يدافع وينافح عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله[1] ويزيل اللبس عما لحق بها مثل المؤلف رحمه الله ولا أدل على ذلك ما حظي به الكتاب من ثناء خادم الحرمين الشريفين الملك

(١) ولد الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، إمام أهل السنة والجماعة.

ولد سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م ونشأ في العيينة ، انتقل الشيخ محمد إلى العيينة ناهجًا منهج السلف الصالح، داعيًا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، ثم قصد الدرعية سنة ١١٥٧هـ، فتلقاه الأمير محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز، ثم سعود بن عبد العزيز، وكانت وفاته في الدرعية سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م من كتبه: كتاب التوحيد، ورسالة كشف الشبهات، وأصول الإيمان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب الكبائر. ينظر: أبجد العلوم، لصديق حسن خان، (ص٨٧١)، وعنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، (٦/١، ٨٩).

سلمان حفظه الله كما أن لمعالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر يرحمه الله الكثير من المؤلفات، وقد تم حصرها في هذا العمل، وكأنموذج لهذه المؤلفات كتاب:

⊙ تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية (باللغة العربية/ اللغة الإنجليزية/ اللغة التركية/ اللغة السواحلية/ اللغة الفرنسية/ اللغة الأردو/ اللغة البنغالية/ اللغة الفارسية).

ويعد من أشهر الكتب التي صدرت مطلع القرن الخامس عشر الهجري في بيان حقيقة الدعوة النجدية الإصلاحية ونفي الشبهات والأكاذيب والإشاعات الخاطئة عنها. وأصل الكتاب حوار جرى بين الدكتور محمد الشويعر وأحد الأساتذة في بلاد المغرب عن الوهابية، ومنشأ هذا الحوار الالتباس والخلط بين الدعوة السلفية النجدية والفرقة الوهابية الإباضية المنسوبة لعبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم(١) رأس الطائفة وصاحب دولتها الناشئة في أقاليم من المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) في القرن الثاني للهجرة.

وقد تدرج النقاش بدءاً بإيضاح الخطأ التاريخي الواضح في الخلط بين تلك الفرقة الخارجية التي ظهرت في المغرب الأوسط قبل نحو عشرة قرون من ظهور حركة الإصلاح السلفية في بلاد نجد من الجزيرة العربية لنشر دعوة التوحيد. ثم تعرض لاهتمام المغاربة وسلاطينهم بمعرفة حقيقة الدعوة الإصلاحية، وتأثر أعيانهم بها بعد الوقوف على حقيقتها التجديدية ونصرتها للدين الحق الذي كان عليه سلف الأمة الصالح. ولإيضاح حقيقة الدعوة النجدية بكلام أهلها وعباراتهم أورد المؤلف رسالة الإمام المجدد

---

(١) عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم فرخزاد ثاني أئمة الدولة الرستمية الإباضية (١٦٠ ـ ٢٩٦هـ) في تيهرت بالجزائر. فارسي الأصل. تولى امامة الفرقة سنة ١٧١هـ، وفي سنة ١٩٠هـ تقريبًا. ينظر: السير، للشماخي، (ص١٤٤ ـ ١٦٣)، والأزهار الرياضية، للباروني، (٢/١٠٠ ـ ١٦٥).

لأهل القصيم، والتي يوضح فيها عقيدته وينفي ادعاءات خصومه، كما أورد رسالته لأهل المغرب.

كما نبه المؤلف لدور الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ(١) في تصحيح الخطأ المشتهر عن الدعوة السلفية بسبب نبز الوهابية الذي حرص الأعداء على نشره وإشاعته.

وإن مما يجب التنبيه له أن القارئ لهذا الكتاب يجد بعضاً من التكرار في المعلومة وأرى أنها ميزة تضاف لهذا الكتاب لما في هذا التكرار من ترتيب للأحداث في مراحل نشأة هذا الكتاب والتي جرى الحديث حولها بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أثناء النقاش مع الأساتذة وما نتج عنه من بحث علمي همهم الأسمى فيه بيان الحق وإزالة اللبس ثم تطوركما ذكر المؤلف في الكتاب أنه كتب مقالا ثم تطور إلى أن أصبح كتابا وأول

(١) الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود. رَحِمَهُ اللَّهُ مؤسس الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربيةالسعودية)، ولد في مدينة الرياض سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م. بدأ تدعيم أسس المملكة بدخول الرياض وتلاها غيرها من المدن كالقصيم وأبها وعسير، نودي به «ملكًا» على الحجاز ونجد، وكان من قبل «الأمير» و«الإمام». وقضى بحزم على كل الفتن التي قامت وأمن البلاد والعباد وانشر الأمان بين الحاضر والباد. وأعلن في سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م توحيد البلاد، وتسميتها «المملكة العربية السعودية». اهتم الملك المؤسس بتنظيم شئون المملكة وسن النظم القانونية، وإنشاء العلاقات السياسية والاقتصادية مع الدول العربية والأجنبية. وظهر في عهد الذهب الأسود البترول، فانتعشت المملكة وتطورت، وحل الأمن وانتشر العمران، وأنشأ الجامعات، وبدأ استقدم الخبرات العلمية والفنية للمملكة، وتم إرسال البعثات العلمية من أبناء المملكة للخارج. توفي بالطائف، ودفن في الرياض ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م. وخلفه أبناؤه من بعده: الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ (١٩٥٣ ـ ١٩٦٤م)، ثم الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ (١٩٦٤ ـ ١٩٧٥م)، ثم الملك خالد رَحِمَهُ اللَّهُ (١٩٧٥ ـ ١٩٨٢م)، ثم الملك فهد رَحِمَهُ اللَّهُ (١٩٨٢ ـ ٢٠٠٥م)، ثم الملك عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٠٠٥ ـ ٢٠١٥م)، ثم الملك سلمان حفظه الله وأمد الله في عمره (٢٠١٥م) وولي عهده الأمير محمد بن سلمان حفظه الله. وقد كُتب في سيرة الملك المؤسس وحياته الحافلة كثير من الكتب والدراسات. ينظر: الأعلام، للزركلي، (١٩/٤ ـ ٢١).

ما طبع الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ، وطبعت الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، وطبعت الطبعة الثالثة عام ١٤١٩هـ وهي طبعة الجامعة الإسلامية، وأخيرا الطبعة الرابعة عام ١٤٢٥هـ طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، وقد تميز هذا الكتاب برقي العبارة وسهولة الأسلوب في طرح القضية ومخاطبة جميع مستويات الناس مع عدم الإخلال بالطرح العلمي الرصين والمتوازن بالاستدلال الشرعي مع الربط التاريخي العميق.

وبعد أن طرح المؤلف فكرته حول الوهابية وكيف نشأ اللبس في التسمية وأزال الغبش الذي شاع وانتشر حول هذا المسمى عمد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر هذا الكتاب بالرد على أصحاب الشبه الباطلة حيث وضعوا شبهة هي أوهن من بيت العنكبوت وهي قولهم أن الشيخ سليمان بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد رد على الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد بين المؤلف بطلان ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن لقب الوهابية لم يظهر إلا بالتزامن مع الحملات التركية وموت الشيخ محمد وأخوه سليمان.

الوجه الثاني: أن مخالفة سليمان بن عبدالوهاب لأخيه كانت في بداية أمر الشيخ محمد ولم تتعد الردود الشفوية والمراسلات الصغيرة.

الوجه الثالث: أن كلمة (الوهابية) لا يمكن لسليمان أن يبتدعها.

الوجه الرابع: أن المستشرق (ني بور) عاصر الدعوة وقد كان يسميها المحمدية نسبة إلى محمد بن عبدالوهاب.

الوجه الخامس: ذكر المؤلف رسالة سليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الأول، وأنه قد استبان لله بالتوحيد والإيمان.

الوجه السادس: أن أول ذكر للوهابية جاء عند المستشرق «برك هارت» الذي جاء الحجاز بعد استيلاء محمد علي في سنة ١٢٢٩هـ كما جاء ذلك عند الجبرتي في تاريخه.

وقد اعتنيت بتخريج الأحاديث كما عمدت إلى تقصي أهم الأعلام الذين ذكرهم المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذكر نبذة مختصرة عنهم في الحواشي، والإشارة إلى بعض الكتب والمصنفات والتعريف بها حتى أصبح هذا الكتاب مرجعاً في الترجمة لبعض الأعلام الذين يصعب الحصول على ترجمتهم.

أسأل الله العلي العظيم أن يغفر لمؤلف هذا الكتاب ويجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ويجعل عملنا هذا خالصا لوجه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وينفع به الإسلام والمسلمين.

أحمد بن محمد طاهر الأنصاري
@ahmed_198482
Ahmed_198482@hotmail.com

ثناء خادم الحرمين الشريفين
الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله
على كتاب (خطأ تاريخي حول الوهابية)



«وبسبب أساس الدولة السعودية وانتمائها هذا هوجمت من قبل أعدائها منذ تأسيسها إلى اليوم، مستخدمين أساليب التشويه وإلصاق التهم بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، التي هي في الأساس تدعو إلى الإسلام كما جاء في الكتاب والسنة؛ لهذا ظهرت مصطلحات مثل «الوهابية» لتشويه تاريخ الدولة السعودية ومبادئها، وربطها بتلك الفرقة التي ظهرت في الشمال الإفريقي نسبة إلى عبد الوهاب بن رستم في القرن الثاني الهجري «القرن الثامن الميلادي»، وعرفت بانحرافها العقدي وخروجها عن سنة نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام. **ولقد أوضح الدكتور محمد بن سعد الشويعر هذا الربط الخاطئ لتشويه الدعوة الإصلاحية في كتابه «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية».**

نشرت في صحيفة الجزيرة يوم الأحد الموافق ٢١ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ في العدد (١٢٩٩٥).

ترجمة المؤلف

معالي المستشار الدكتور محمد بن سعد بن عبد الله الشويعر، العالم، والأديب، والكاتب، والمؤلف في الأدب والتاريخ، وأحد أبرز الأدباء والمؤلفين والتربويين المعاصرين في المملكة العربية السعودية، صاحب الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) ومستشاره وجامع تراثه وفتاويه ورفيق دربه في الدعوة إلى الله لما يقارب عقدين من الزمن.

◈ النشأة والتعلم:

- ولد في شقراء عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.
- تلقى تعليمه الابتدائي في شقراء.
- تلقى تعليمه المتوسط والثانوي في المعهد العلمي بالرياض.

(١) الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. وُلد في الرياض سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م. كان بصيرًا ثم عمي في شبابه. شغل منصب مفتي المملكة العربية السعودية. وكان رئيس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. كان صالحًا ورعًا زاهدًا. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م في مدينة الطائف، ودُفن بمكة. من كتبه: التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة، وشرح ثلاثة الأصول. ينظر: ترجمة سماحة الإمام الشيخ عبد العزيز بن باز، في أول فتاواه والتي أملاها على معالي الشيخ محمد بن سعد الشويعر والتي أقرها الشيخ في آخر حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

⦿ حصل على الشهادة الجامعية من كلية اللغة العربية بالرياض عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

⦿ حصل على دبلوم تربية من المركز الإقليمي لليونسكو ببيروت عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

⦿ حصل على دبلوم إحصاء من جامعة القاهرة عام ١٩٧٣م.

⦿ حصل على درجة الماجستير في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

⦿ حصل على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٣ : ٧هـ.

◈ وظائفه:

⦿ عمل معلما عام ١٣٨٠هـ.

⦿ عمل في العديد من الوظائف في الرئاسة العامة لتعليم البنات بين عامي ١٣٨١ ـ ١٤٠٢هـ/١٩٦١ ـ ١٩٨٢م، وهي:

⦿ مدير شؤون الموظفين.

⦿ مدير التعليم الأهلي.

⦿ مساعد المدير العام للتعليم.

⦿ المدير العام للتعليم المتوسط.

⦿ مستشار في مكتب رئيس الرئاسة العامة لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

◈ إسهاماته الثقافية:

⦿ كان لمعالي الشيخ محمد بن سعد الشويعر إسهامات ثقافية ذات فاعلية، نال مقابلها العديد من الدروع والجوائز وشهادات التكريم من داخل السعودية وخارجها، حيث سخر قلمه وأدبه وثقافته وسعة اطلاعه في

خدمة الإسلام، والمنهج السلفي، وحظي بعضوية الكثير من اللجان العلمية والأدبية والثقافية، منها:

- عضو في بعض اللجان والجمعيات الخيرية والاستشارية.
- عضو شرف في النادي الأدبي في موريتانيا.
- عضو مؤسس في نادي الرياض الأدبي، لمدة ٢٨ عاماً.
- ألقى العديد من المحاضرات الموسمية في الأندية الأدبية.
- رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية، وهي المجلة العلمية الصادرة عن هيئة كبار العلماء، حيث تولى رئاسة التحرير من العدد السادس الذي صدر في عام ١٤٠٣هـ وحتى وفاته رحمه الله (وكان لخبرته في الإعلام إضافة إلى لعلمه وسعة أفقه وجده في العمل أثر كبير في تطوير المجلة والانتقال بها إلى مرحلة متقدمة).
- عضو تحرير في مجلة التوباد.
- عضو في مجلة الدرعية.
- عضو في جمعية الثقافة والفنون.
- عضو في الهيئة الوطنية لمكافحة المخدرات.
- عضو في الهيئة التحضيرية لمرور ١٠٠ عام على توحيد المملكة.
- عضو الجمعية التاريخية السعودية.
- شارك وحضر في الكثير من المؤتمرات والندوات الفكرية والثقافية داخل المملكة وخارجها.
- له مشاركات في العديد من المجلات الدورية والصحف اليومية داخل المملكة، مثل: مجلة الفيصل، مجلة الدرعية، مجلة العرب، المجلة العربية، مجلة الجيل، مجلة البحوث الإسلامية، مجلة التوباد، مجلة الدعوة، وفي الصحف: الجزيرة، البلاد، المدينة، عكاظ، وغيرها من الدوريات.

⦿ له مشاركات في العديد من المجلات في خارج المملكة أيضاً، منها: مجلة البعث الهندية، مجلة الداعي الهندية، مجلة التوحيد المصرية، مجلة الأمة الهندية، مجلة النور المغربية، وغيرها.

⦿ كاتب مقالات في موضوعات متنوعة في الصحف والمجلات في داخل السعودية وخارجها منذ عام ١٤١٨هـ.

⦿ ترك مؤلفات عدة في التاريخ والأدب والثقافة.

◈ الأوسمة والدروع والجوائز التقديرية:

١ ـ منح وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى وفق الأمر السامي بتاريخ ٦/٢/١٤٢٠هـ.

٢ ـ قطعة ألمونيوم من كسوة قبة الصخرة بالقدس أصلية وشهادة من مفتي القدس ودار الفتوى عام ١٤١٦هـ.

٣ ـ العديد من الدروع والجوائز والميداليات وشهادات التقدير.

◈ علاقته بالعلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في مطلع القرن الخامس عشر للهجرة بدأت رحلته مع الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حينها رشحه لتولي تحرير مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن هيئة كبار العلماء، وأصبح بعد ذلك مدير مكتبه وكبير مستشاريه ورفيقه الملازم له، فكان من أخص الناس به وبمعرفة أحواله وأخباره، والوقوف على آرائه واختياراته، وقد دون رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض ذكرياته مع الإمام ابن باز في ٣ مقالات نشرتها الجزيرة السعودية تحت عنوان (١٨ عاما في صحبة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ) وأصدر كتابا بعنوان عالم فقدته الأمة سجل فيه كثير من المواقف والذكريات التي مرت أثناء عمله مع الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كما جمع تراث الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

⊙ نشرت تحت عنوان: (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة بلغت عدد ٣٢ مجلد).

⊙ كما قام بعد ذلك بجمع فتاوى الشيخ ابن باز وترتيبها في البرنامج الإذاعي الشهير (نور على الدرب)، وقام بعرضها على سماحته ثم أكمل العرض على مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ(١).

⊙ وقد نشر المجلد الأول من هذه الفتاوى عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ثم توالى صدور الأجزاء ليصل إلى المجلد ٣٤ عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).

◈ رحلاته:

زار رَحِمَهُ اللهُ معظم الدول العربية وشبه القارة الهندية، وأفريقيا وأمريكا وأوروبا وأستراليا، بهدف:

- حضور المؤتمرات والندوات وتمثيل المملكة فيها.

- زيارة المراكز الإسلامية والمساجد والمكتبات في العالم، لتمثيل دار الافتاء في افتتاح المدارس والدورات العلمية.

---

(١) سماحة المفتي الحالي للمملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ. رئيس هيئة كبار العلماء والبحوث العلمية والإفتاء. من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ولد في مكة المكرمة سنة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م. من مشايخه: الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد العزيز بن صالح المرشد، والشيخ عبد العزيز الشثري. دَرَّس في عدة معاهد وجامعات مثل: معهد إمام الدعوة العلمي بالرياض، وكلية الشريعة بالرياض التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وفي سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م تم تعيينه مفتيًا عامًّا للمملكة ورئيسًا لهيئة كبار العلماء ولحد الآن، خلفًا للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ. من كتبه: جامع خطب عرفة، وحرمة الإفساد في الأرض، ورسائل وفتاوى عبد العزيز آل الشيخ، وكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ومكانته العظيمة. ينظر: سماحة المفتي في سطور، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ، العدد (٥٦)، (ص٣٧٧ ـ ٣٨٠).

ـ رئاسة لجان التعاقد أثناء عمله في التعليم.

وقد جمع من خلال هذه الرحلات، معلومات مفيدة عنها:

ـ من الناحية التاريخية والاجتماعية.

ـ دون تلك اللطائف والفوائد في مقالاته وكتبه.

◈ مؤلفاته:

بلغ مجموع مؤلفات معالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:

- الكتب المستقلة بلغت ٤٢ كتاباً.
- البحوث في الدوريات العلمية بلغت ٥٧٦ بحثاً.
- المقالات في الصحف بلغت ١٣٥١ مقالاً.
- المحاضرات بلغت ٣٠ محاضرة وندوة علمية.
- الإنتاج العلمي بخط اليد بلغ ٦٨.
- البرامج الإذاعية بلغت ٥٠٨ برنامجاً.

◈ وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الجمعة ١٧ رمضان عام ١٤٤٢هـ، عن عمر يناهز ٨٣ عاما.

(١) مجموع مؤلفات معالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمحات من حياته وبيبلوجرافيا بآثاره رحمه الله تعالى، من إعداد أ.د.خولة بنت محمد بن سعد الشويعر أستاذ الوثائق والمعلومات، جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمٰن بالرياض.

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين **وبعد:**

فلقد كان بحمد الله لمقالي الذي نشرته منذ أربعة أعوام حول تصحيح مفهوم تاريخي أثر طيب عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنه لا علاقة للوهابية الرستمية بالدعوة السلفية التي جددها الشيخ محمد رحمه الله.

وقد كانت مبادرة من أستاذ كريم بإحدى جامعات المغرب الشقيق طالبًا المزيد من التفصيل لذلك الموضوع.

وهذه الرسالة الموجزة ما هي إلا استجابة لمطلبه، وتوضيحًا لمكانة قادة وعلماء المغرب من الرغبة الأكيدة بالدفاع عن هذا الدين، وتحرى الأصوب فيما يتجهون إليه.

وقد حاولت أن تكون وجهة النظر التي أطرح في هذا البحث مستندة على مصدر معتمد في نقل الأحداث. وقد حققت الطبعة الأولى من هذا الكتاب تجاوبً حسنًا، ورغبة في استجلاء الحقيقة التي حرصت على تجليتها خدمة للعلم، وأداء للأمانة، وتأليفًا للقلوب في مسيرة الإسلام الخيرة التي رسم معالمها سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا وتوفى بعد أن ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها

إلا هالك. كما قال ﷺ وهأنذا أقدم للقارئ الكريم الطبعة الثانية من هذا الكتاب مزادة ومنقحة جعل الله الحق رائدنا، والحقيقة منطلقنا، والألفة تجمعنا، والجنة مستقرنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سبب التأليف

كنت قد أخرجت كتابًا صغيرًا، باسم تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، يقع في ١١٠ صفحات تقريبًا، وطبع للمرة الأولى بتطوان بالمغرب عام ١٤٠٧هـ، وطبعته دار المعارف بالرياض الطبعة الثانية عام ١٤١٣هـ، أوضحت فيه، بأن خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وأعداء دين الله الحقّ، من أرباب المصالح الدنيوية، ممن يريد إطفاء نور الله، والتصدِّي لمن يريد أن يحقق التوحيد الذي أمر به الله، وأرسل به رسله من أولهم إلى آخرهم: دعوة وتطبيقًا، وتنقية من مداخل الشرك.

فوجدوا دعوة خارجية إباضيّة، في شمال أفريقيا، نشأت في القرن الثاني الهجري، باسم الوهابية، نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم الخارجي الإباضي، ووجدوا فتاوى من علماء المغرب والأندلس ممن عاصرها، أو جاء بعدها، فأرادوا شيئًا عاجلًا، يحقق الغرض، وينهض الهمم لإسكات الدعوة الجديدة، خوفًا من توسّع الدائرة الإسلامية، حيث قامت الدولة السعودية الأولى مناصرة للدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ فتصافحت يدا الإمامين: محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله في عام ١١٥٧هـ، على القيام بهذه الدعوة، نصرة لدين الله وأداء لأمانة التبليغ.

فوفق الله، ولقيت الدعوة قبولًا وتأييدًا، حيث امتدت إلى العالم الإسلامي كلّه، وتأثر بها العلماء من الحجاج، وبدأوا في نشرها ببلادهم..

فخاف المنتفعون دنيويًا، من آثارها، ووجدوا الضّالة في الوهابية الرستمية، المدفون خبرها في سجلات التاريخ، فنبّشوا في فتاوى العلماء حولها.. وكانت فرصة بإلباس الثوب القديم، للدعوة الجديدة. ووجدت الإشاعة صدى في النفوس؛ لأن أرباب المنافع الدنيوية جهدوا في التّمويه والتّشويه، والناس عادة يتلقفون الكذب أكثر من اهتمامهم وتحرّيهم للصدق.

ولذا فإن للإشعاعات دورًا كبيرًا في تغيير المفاهيم، ووضع تصوُّراتٍ تغاير الواقع.. بحسن نيّة أو سوء فهم. وفي حدود عام ١٤٠٧هـ، كان نقاش علّمي، مع أحد علماء المغرب، حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ حقق نتيجة مرضية، وصحح مفهومًا تاريخيًا سائدًا، وقد رغَّب إليَّ أكثر من أخ كريم، ذكر سبب تأليف تلك الرسالة كتابيًا، حيث ذكرتها لهم شفويًا، لأنها أمكن في البلاغ، ويطلع عليها أكبر عدد ممكن، حيث تبقى حيّة لمن يريدها. واستجابة لذلك أقول:

قد يكون من المناسب الاشتراك مع القارئ في السبب الذي من أجله كتبت: تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية؛ لأن الله قد جعل لكل شيء سببًا، فكان هذا الحوار، الذي توّلد عنه النقاش العلمي المقنع، والحوار الهادئ المثمر، هو السبب المباشر لكتابة هذه الرسالة.

ففي عام ١٤٠٧هـ، كنت في مهمة لموريتانيا، ثم عرّجنا على السنغال، وقد كان خطّ سير الطيران ملزمًا لنا بالبقاء في المملكة المغربية ستة أيام.

وفي أحد الأيام كنت في ضيافة أحد الأساتذة بإحدى الجامعات هناك، وأرمز له بـ: الدكتور عبد الله. وفي جلسة بمكتبته، دارت أحاديث شتّى، ومن محبته للمملكة، وحضوره مؤتمرات عديدة بها، طرح عليّ هذا السؤال، أمام الحاضرين وعددهم، يقارب الاثنى عشر شيخًا، من فضلاء البلاد هناك: ـ

قال: إننا نحب المملكة، ونفوس المسلمين وقلوبهم تهفو إليها،

وبيننا وبينكم تقارب كبير وتفاهم بين القيادات، وإعجاب بما يؤديه حكام وعلماء المملكة من جهود مخلصة، للإسلام والمسلمين، ولكن حبذا لو تركتم المذهب الوهابيّ، الذي فرق بين المسلمين؟!

فأجبته: قد يكون علق بالذهن معلومات خاطئة، مأخوذة من غير مصدرها السليم، ولكن حتى تلتقي المفاهيم، نحب أن نطرح الموضوع بحضور الإخوة للنقاش العلمي، المقرون بالبراهين... **ثم قلت:**

ولما كان كل إنسان ترتاح نفسه، ويطمئن قلبه، لما ألّفه علماء بلده، فإنني في هذا الحوار لن أخرج عما في محتويات هذه المكتبة، التي تُضمنا جدرانها الأربعة لأنك كما تراني الآن لا أحمل كتبًا، ولم يخطر ببالي مثل هذا النقاش.

ولذا وقبل أن نبدأ: أرجو أن يكون نقاشنا بعيدًا عن التعصّب والانفعال، أو طرح الآراء بدون دليل مقنع يعوّل عليْه؛ لأن نشدان الحقيقة وهو هدفنا، والامتثال لأمر الله وأمر رسوله ﷺ هو غايتنا، ونصرة دين الله هو المؤمل من كل منّا.

قال: أوافقك على هذا، وأصحاب الفضيلة المشايخ هم الحكم بيننا.

قلت: رضيت بذلك، وبعد التوكل على الله أرجو أن تطرح أيّ مدخل للحوار.

قال: خذ مثلًا ما ذكره الونشريسي[(١)] في كتابه المعيار[(٢)] الجزء ١١،

(١) الإمام الحجة أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التِّلِمْسَاني المالكي. أخذ عن علماء تِلِمْسَان، ونقمت عليه حكومتها أمرًا فانتهبت داره وفر إلى فاس سنة ٨٧٤هـ، فتوطنها إلى أن مات فيها سنة ٩١٤هـ عن نحو ٨٠ عامًا. من كتبه: إيضاح المسالك، والمعيار المعرب. ينظر: جذوة الاقتباس، للشيخ أحمد بن القاضي المكناسي، (ص ٨١).

(٢) **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تأليف الإمام أبي العباس الونشريسي (ت٩١٤هـ). كتاب فقهي مالكي يحتوي على مجموعة ضخمة من فتاوى واجتهادات فقهاء القيروان، وبجاية، وتلِمْسان، وقُرطبة، وغَرْناطة، =

وهو قوله: سئل اللخمي[(١)] عن أهل بلد بنى عندهم الوهابيون مسجدًا، ما حكم الصلاة فيه؟[(٢)]

وللمعلومية: فإن كتاب المعيار هذا، هو كتاب يجمع الفتاوى في الفقه المالكي، جمعهُ أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي، وطبع في ١٣ مجلدًا، وقد طبعته الحكومة المغربية، وتوزع منه نسخ بالإهداء.

بعد طرح السؤال، وإحضار الكتاب المذكور جـ١١، أجبته: بأن الفتوى على هذا السؤال صحيحة، ونوافق اللّخمي على ما جاء في فتواه.

قال: إذًا اتفقنا على هذه الفرقة، وخطأ ما تسير عليه، خاصة وأن المفتي قال: هذه فرقة، خارجيّة ضالة كافرة، قطع الله دابرها مِنَ الأرض، يجب هدم المسجد، وإبعادهم عن ديار المسلمين.

قلت: لم نتفق بعد، ولا زلنا في بداية الحوار.. ولعلمك: فإن هذه الفتوى لها نظائر كثيرة قبل اللخميّ وبعده، موجودة لدى علماء الأندلس، وفقهاء شمال أفريقيا، وهي مستمدة من حكم رسول الله ﷺ في الخوارج، الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(٣)] في النهروان.

= وسَبْتة، وفاس، ومَرَّاكُش، وغيرها من عواصم الغرب الإسلامي طوال ثمانية قرون؛ مما يدل على إدراك عميق لعلماء هذه البلاد لمقاصد الشريعة الإسلامية، مكَّنهم من مواجهة جميع المشاكل التي اعترضتهم، وإيجاد الحلول الملائمة لما استشكله الناسُ من أمور دينهم ودنياهم. وقد طبعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية الكتاب، بتحقيق د.محمد حجي في (١٣) مجلدًا.

(١) الإمام الفقيه المحدث أبو الحسن علي بن محمد الرَّبَعي اللخمي القيرواني المالكي. نزل سفاقس وتوفي بها سنة ٤٧٨هـ. صنف كتبًا مفيدة، من أحسنها: تعليق كبير على المدونة أسماه «التبصرة» أورد فيه آراء خرج بها عن المذهب. ينظر: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، للوزير السراج، (ص١٤٣)، ومعالم الإيمان، للدباغ، (٣/٢٤٦).

(٢) ينظر: المعيار المعرب في فتاوى أهل المغرب، (١١/١٦٨)، والسؤال في المعيار أوسع مما ذكر هنا.

(٣) أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي. رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي ﷺ وصهره، وأول الناس =

وفي نقاشنا هذا، سوف نصل بإذْن الله، إلى تصحيح المفهوم التاريخيّ، بين ما تعنيه هذه الفرقة، التي أفتى علماء الإسلام في الأندلس، وشمال أفريقيا بشأنها، وبين التسمية التي ألصقت وصفًا مستهجنًا، بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التصحيحية: هذا التصحيح لن يكون مقنعًا إلا بقرائن وبراهين، مرضية عندكم؛ لأن رائدنا جميعًا الوصول إلى الحقيقة لذات الحقيقة. والرأي الهادي المقنع هو الذي تنجلي به الغشاوة وتصحح المفاهيم.

قال: كلنا نريد الوصول لهذه الحقيقة.. ثم قال: وبعد هذه الفتوى، نريد أن تعطينا ما عندك، ونحن نستمع والإخوة يحكمون بيننا، ويصوّبون أو يخطئون ما يقال، أو يعرض أمامهم.

قلت: سترون ـ إن شاء الله ـ، ما ينير الطريق لمن يريد الوصول للرأي الصائب، في استجلاء الأمر، ولهذا: نبدأ بما لدينا مِنْ أجزاء المعيار.

ولعلك تقرأ طرّة الكتاب ليسمع الإخوة؟.

قال: تريد الفتوى حتى أقرأها أمامهم، أم أبدأ بما على الغلاف الخارجيّ من معلومات؟؟.

قلت: بل الغلاف الخارجي.. أو الداخلي فهما سواء..

فقرأ: الكتاب المعرب في فتاوى أهل المغرب، تأليف: أحمد بن محمد الونشريسي المتوفّى عام ٩١٤هـ، بفاس بالمغرب.

قلت لأكبر المشايخ سنًا، وهو شيخ وقور، هادئ الطبع، اسمه

= إسلامًا بعد خديجة. ولد بمكة قبل الهجرة بنحو ٢٣ سنة. ولي الخلافة بعد سنة ٣٥هـ أقام بالكوفة دار خلافته إلى أن قتله عبد الرحمٰن بن مُلْجَم المرادي الخارجي غيلة في مؤامرة في ١٧ رمضان المشهورة سنة ٤٠هـ. ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير، (٣/٥٨٨)، والإصابة، لابن حجر، (٤/٤٦٤).

أحمد: يا شيخ أحمد، سجّل تاريخ وفاة المؤلف أحمد الونشريسي.. فرصد ذلك عام ٩١٤هـ.

ثم قلت: هل من الممكن إحضار ترجمة اللّخميّ؟.

قال: نعم.. ثم قام إلى رفّ من رفوف المكتبة فأحضر جزءً من أحد كتب التراجم، وفيه ترجمة: علي بن محمد اللّخمي، مفتي الأندلس وشمال أفريقيا والترجمة طويلة، وفيها ثناء عليه وعلى علمه.. فقلت: إن بيت القصيد في نهاية الترجمة: فمتى توفى؟.

قال القارئ: وتوفى عام ٤٧٨هـ[(١)].

فقلت للشيخ أحمد: أكتب تاريخ وفاة الشيخ علي اللّخمي، فكتبه في عام ٤٧٨هـ.

فقال الدكتور عبد الله: هل تشك في علمائنا وفي فتاواهم؟.

قلت: وما دليلك على هذا الشّك؟. ثم التفتّ إلى المشايخ.. وقلت: هل بدر مني ما يدعو إلى الشك التي أوجبت هذا القول؟. فكان الجواب بالإجماع: النفي.

قلت: ولكي أنفي الشك عني، وعن علمائنا في بلادي، فإننا نحترمهم ونجلّهم، ونصوّب كل فتوى تصدر عنهم، يدعمها الدليل من الكتاب الكريم، والصحيح من سنة رسول الله ﷺ. ولكن الوصول إلى ما بدأنا الحديث من أجله، مقرونًا بما يدعمه، يحتاج إلى شيء من الأناة والصبر.

ومن باب استعجال الجواب: أطرح على الجميع هذا السؤال: هل يمكن أن يفتي العلماء على معتقد لم يوجد صاحبه الذي ينسب المعتقد إليه بعد، أو الحكم على ملّة من الملل لم تظهر بعد؟؟!!

(١) الحلل السندسية، (ص١٤٢)، والأعلام، للزركلي، (١٤٨/٥)، وفي الحلل السندسية أنه توفى بسفاقس.

قالوا جميعًا: لا.. ولم يعرف هذا، إلا ما جاء عنه إخبار من رسول الله ﷺ. وهذا من معجزات النبوة، وفي الغالب يأتي بالوصف دون المسمى.

قلت: موجهًا الكلام لمحدّثي: ألست تعتقد ويعتقد غيرك أن الوهابية، أول من أنشأها محمد بن عبد الوهاب في نجد؟ قال: بلى.

قلت: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عندما أفتى اللّخمي، وغيره من علماء المالكية في الأندلس. وفي الشمال الإفريقي، كان أكثر من اثنين وعشرين من أجداده لم يولدوا بعد، باعتبار أن المتوسط لكل قرن ثلاثة جدود، كما أن بين وفاة عبد الوهاب بن رستم ووفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما يقرب من واحد وثلاثين جدًا. وعلماؤكم، وعلماء المسلمين لا يعلمون الغيب، وننزّههم عن الكهانة والسحر، وعن القول في أمر لا يعلمونه، يقول سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[(١)].

قال: أوضح أكثر..!!.

قلت: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد عام ١١١٥هـ، ومات سنة ١٢٠٦هـ، وبينه وبين أحمد الونشريسي الذي ألّف كتاب المعيار، ونقل الفتوى عن اللّخمي ـ كما مر بنا ـ مئتان واثنتان وتسعون سنة ٢٩٢ وفق تاريخ الوفاة، كما أن بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين اللّخمي. وهو صاحب الفتوى سبعمائة وثمانية وعشرون عامًا ٧٢٨ وفق تاريخ الوفاة، وفق ما سجل الشيخ أحمد لوفاة كل منهما.

ويقاس على هذا كل من أفتى من علماء الأندلس وشمال أفريقيا عن تلك الوهابية..

قال: هل يمكن أن توضح أكثر لما تعني.. بدليل مقنع؟.

(١) سورة النمل آية ٦٥.

قلت: لم يهتم علماء الشمال الأفريقي والأندلس، بالفتاوى عن الوهابية والتحذير منها، إلا لأنها موجودة عندهم بخلاف ديار المسلمين الأخرى، التي وضح فرقها الشهرستاني(١) في كتابه الملل والنحل. وابن حزم(٢) في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل.

وفي موضوعنا: ألا يوجد عندك كتاب: الفرق الإسلامية في شمال أفريقيا، الذي ألّفه الفرنسي: ألفرد بل(٣)، وترجمه للغة العربية: عبد الرحمٰن بدوي؟(٤). وهو جزء واحد.

---

(١) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشَّهْرَسْتاني. يلقب بـ«الأفضل». من فلاسفة الإسلام، وكان إمامًا في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام. ولد في شهرستان سنة ٤٧٩هـ، وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠هـ، فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي بها سنة ٥٤٨. من كتبه: الملل والنحل، ونهاية الإقدام في علم الكلام. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خَلِّكَان، (٤٨٢/١)، والوافي بالوفيات، للصفدي، (٢٧٨/٣).

(٢) عالم الأندلس في عصره الوزير أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري. أحد أئمة الإسلام. ولد بقُرْطُبَة سنة ٣٨٤هـ. وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف. توفي فيها سنة ٤٥٦هـ. من كتبه: الفصل في الملل والأهواء والنحل، والمحلى بالآثار. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خَلِّكَان، (٣٤٠/١)، ونفح الطيب، للمَقَّرِي، (٣٦٤/١).

(٣) المستشرق أَلْفْرد أُكتاف بِلْ (Alfred Octave Bel). مستشرق فرنسي. ولد سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م. أقام زمنا في إفريقية الشمالية. وكان مديرًا لمدرسة تِلِمْسَان. ووضع فهرسا بالعربية والفرنسية لمخطوطات مكتبة جامع القرويين بفاس. توفي سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م. من كتبه: الفرق الإسلامية في شمال أفريقيا. ينظر: دليل الأعارب إلى علم الكتب وفن المكاتب، ليوسف أسعد، د.ن، بيروت، ١٩٤٧م، (٩١/١)، والأعلام، للزركلي، (٦/٢، ٧).

(٤) فيلسوف الوجودية عبد الرحمٰن بدوي. أحد أبرز فلاسفة العرب في القرن العشرين وأغزرهم. ولد بدمياط سنة ١٩١٧م. حصل على الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة الملك فؤاد الأول سنة ١٩٤٤م. كان عضوًا في حزب مصر الفتاة، وعضوًا في اللجنة العليا للحزب الوطني الجديد. وتم اختياره مع ٥٠ شخصية كعضو في لجنة الدستور التي كلفت في يناير ١٩٥٣ لكتابة دستور جديد. كان يجيد عددًا من اللغات. أنشأ =

قال: ها هو موجود.. ثم قام وأحضره.

قلت: فلنقرأ في آخره، حرف الواو.. فقرأ أحدهم: الوهبية أو الوهابية: فرقة خارجية أباضية أنشأها عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم، الخارجي الأباضيّ، وسميت باسمه وهابية. الذي عطّل الشرائع الإسلامية، وألغى الحج، وحصل بينه وبين معارضيه حروب.. إلى أن قال: المتوفى عام ١٩٧هـ، بمدينة تاهرت[(١)] بالشمال الأفريقي، وأخبر بأن فرقته أخذت هذا الاسم: لما أحدثه في المذهب من تغيرات ومعتقدات، وكانوا يكرهون الشيعة، قدر كراهيتهم لأهل السنة. وكان الفرد هذا قد تحدث في كتابه المنوه عنه: عن الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى وقت المؤلف في العصر الحاضر تقريبًا.

وعبد الوهاب بن رستم قد اختلف في تاريخ وفاته، عند من كتب عنه، ويرى الزركلي في الأعلام أن وفاته نحو ١٩٠هـ[(٢)].

عند ذلك قلت له وللحاضرين: هذه هي الوهابية التي فرّقت بين المسلمين، وصدرت بشأنها فتاوى من علماء وفقهاء الأندلس وشمال أفريقيا، كما تجدون في كتب العقائد عندكم، وهم محقون فيما قالوا عنها..

= قسم الفلسفة في كلية الآداب بجامعة عين شمس، عمل في عدد من الجامعات العربية والأوربية، ثم استقر في نهاية الأمر في باريس. عاد من فرنسا إلى مصر قبل وفاته بأربعة، وتوفي في في القاهرة سنة ٢٠٠٢ عن عمر يقارب ٨٥ سنة. له ما يقرب من ٢٠٠ كتاب مؤلف ومترجم. من كتبه: نيتشه، والتراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ومشكلة الموت في الفلسفة المعاصرة، ومن تاريخ الإلحاد في الإسلام، ودفاع عن القرآن ضد الطاعنين فيه، ودفاع عن محمد ﷺ ضد منتقديه. ينظر: عبد الرحمٰن بدوي ومذهبه الفلسفي ومنهجه في دراسة المذاهب: عرض ونقد، د.عبد القادر بن محمد الغامدي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م، (ص١٧ ـ ٦٤).

(١) تاهرت وتسمى أيضًا تيهرت. مدينة جزائرية قديمة كانت عاصمة للدولة الرستمية التي أسسها القاضي عبدالرحمٰن بن رستم في القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، ويطلق عليها الآن تيارت.

(٢) الأعلام، للزركلي، (١٩٨/٥).

أما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي ناصرها الإمام محمد بن سعود ـ رحمهما الله ـ السلفية التصحيحية، فهي ضد الخوارج وأعمالهم، لأنها قامت على كتاب الله، وما صح من سنة رسول الله ﷺ، ونبذ ما يخالفهما وهم من أهل السنة والجماعة.

والشبهة التي انتشرت في ديار الإسلام، قد روّجها أعداء الإسلام والمسلمين من مستعمرين وغيرهم، لكي تبثّ الفرقة في صفوفهم، فقد كان المستعمرون يسيطرون على غالب العالم الإسلامي ذلك الوقت، وهو وقت عنفوانهم، ويعلمون من واقع حروبهم الصليبية، أن عدوّهم الأول في تحقيق مآربهم: الإسلام الخالي من الشوائب، وتمثّله السلفية، ووجدوا ثوبًا جاهزًا، ألبسوه هذه الدعوة تنفيرًا، وتفريقًا بين المسلمين ـ لأن مبدأهم فرّق تسد ـ، حيث إن صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ(١) لم يخرجهم من ديار الشام إلى غير رجعة، إلا بعد أن قضى على دولة الفاطميين ـ العبيديين الباطنيين ـ من مصر(٢)، ثم استقدم علماء من أهل السنة من الشام، ووزّعهم في الديار المصرية، فتحوّلت مصر من التشيّع الباطنيّ، إلى منهج أهل السنة، الواضح دليلًا وعملًا واعتقادًا.

فالمستعمرون خافوا من إعادة الكرّة، بعدما رأوا دولة التوحيد السنيّة، قادها الإمامان: محمد بن عبدالوهاب، ومحمد بن سعود، ثم من

(١) الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الأيوبي الكردي. من أعظم ملوك الإسلام، ومؤسس الدولة الأيوبية. ولد بتكريت سنة ٥٣٢هـ، ونشأ في دمشق. تفقه وروى الحديث. دخل مع أبيه نجم الدين وعمه أسد الدين شيركوه في خدمة نور الدين زَنْكي صاحب دمشق وحلب والموصل. قضى على الدولة الفاطمية بمصر، وخطب للعباسيين. بعد وفاة نور الدين سيطر صلاح الدين على مصر والشام والجزيرة، وبدأ في مواجهة الصليبيين، فانتصر عليهم في عدة معارك أشهرها حطين، واسترد بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ. توفي سنة ٥٨٩هـ بعد أعمال وإصلاحات مجيدة. خلف من الأولاد ١٧ ذكرًا وأنثى واحدة. ينظر: الكامل، لابن الأثير، (٣٧/١٢)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، (٣٧٦/٢).

(٢) يراجع في هذا تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير.

جاء بعدهما، تتسع أعمالها، ويكثر المستجيبون لما تهدف إليه هذه الدعوة، ومعلوم لديكم أن المستعمر ما دخل بلدًا إسلامياً إلا حاول إقصاء أهل السنة، وتقريب أهل الأهواء والبدع، لأنهم مطيته فيما يريد عمله في ديار الإسلام.

كنت اعتقد أن هذا الجواب فيه إقناع.. لكن طرح أحدهم سؤالًا قال فيه: ألا يكون محمد بن عبد الوهاب، قد أخذ منهج السابقين، وأحياه من جديد، واتبّع طريقتهم؟!

قلت: أولاً لبعد الاتصالات بين المكانين، فإن المعلومات لا تصل، ولم يكن لدعوة عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم ذكر في تاريخ الجزيرة العربية، بل كما مرّ بنا، لم يكن لها تصنيف عند الدارسين والراصدين للملل والنحل والأهواء، كالشهرستاني وابن حزم، ولا في ردود ابن تيمية[(١)]، وابن رستم مات قبل هؤلاء بزمن.

مما يدل على أن دعوة عبد الوهاب بن رستم "الوهابية" لم تتعد الشمال الأفريقي، والأندلس قبل ضياعها.

ثانيًا: أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تختلف عن دعوة جميع الفرق المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأنها دعوة تجديدية على منهج السلف الصالح، ولم يأت بشيء يخالف ذلك.

ثالثًا: تسمية الدعوة التي قام بها الشيخ محمد "وهابية" نسبة إليه خطأ لغوي؛ لأن والده لم يقم بها. وإلّا لاشترك في هذه النسبة الوالد وأولاده، ومحمد واحد منهم لتصبح نسبة مشتركة.

(١) شيخ الإسلام والمسلمين تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحَرَّانِي الدمشقي الحنبلي. ولد في حرَّان سنة ٦٦١هـ. تعرض لكثير من الفتن في حياته وسُجن. توفي سنة ٧٢٨هـ بقلعة دمشق. من كتبه: الفتاوى الكبرى، ومنهاج السنة النبوية. ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١٣٥/١٤)، وفوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، (٣٥/١ ـ ٤٥).

رابعًا: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في دعوته لا يوافق الخوارج الأباضية في آرائهم، ولا غيرهم من الفرق التي ذمّها علماء أهل السنة منذ نشأت في ديار المسلمين وكتبه ورسائله توضح ذلك.

خامسًا: أما ما نسب إليه من أمور، فسوف آتى بشواهد ـ إن رأيتم في الوقت متسعًا ـ من كلامه وكلام تلاميذه بالتبرئ مما نسب إليه كذبًا وزورًا، ويقول في كلامه: سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم. فكيف ينسب للإنسان شيء هو يتبرأ منه؟؟!!

لكن سوف نستكمل الحوار، ولعلنا نجد في هذه المكتبة ـ بحول الله ما يزيل ما علق بالأذهان من شبهة؟ والحكمة ضالة المؤمن.

ثم قلت: ولعلنا نجد عندكم: كتابًا تاريخيًا. عن منطقتكم اسمه: تاريخ شمال أفريقيا من تأليف: أحد الغربيين في فرنسا.. واسم المؤلف: شارلي أندري[(١)]، وقد ترجمه إلى اللغة العربية: محمد مزالي رئيس وزراء تونس الأسبق[(٢)]، ....

(١) المؤرخ والصحافي الفرنسي شارل أندري جوليان. Charles-André Julien ولد بمدينة كان الفرنسية سنة ١٨٩١م. ماركسي مختص في شئون المغرب العربي. انتقل في صغره إلى الجزائر، فاطلع على ظلم الاستعمار الفرنسي، فكان معارضًا للنظام الاستعماري. ساند الثورة البلشفية. عمل أستاذًا جامعيًّا بالسوربون، وكان عضوًا في الحزب الاشتراكي الفرنسي، وتولى رئاسة تحرير المجلة التاريخية. ثم قرر العمل في الصحافة وساهم في تأسيس جريدة لومند. بعد استقلال المغرب، دعاه الملك محمد الخامس لتأسيس الجامعة المغربية، وقد سمي أول عميد لكلية الآداب بالرباط. توفي سنة ١٩٩١م. من كتبه: تاريخ إفريقيا الشمالية، وتاريخ إفريقيا البيضاء، وتاريخ الجزائر المعاصرة. ينظر:

Lawrence, Adria K. ،2013). Imperial Rule and the Politics of Nationalism: Anti-Colonial Protest in the French Empire. Cambridge University Press. pp. 93-94.

(٢) السياسي محمد مزالي التونسي. ولد سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م. درس الفلسفة في فرنسا. أصدر مجلة الفكر سنة ١٩٥٥م، دافع فيها عن الأصالة والتعريب. تم انتخابه رئيسًا لاتحاد الكتاب التونسيين عند إنشائه. في سنة ١٩٦٤م عين مديرًا لمؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية. ثم شغل عدة مناصب وزارية (وزارة الدفاع، والشباب والرياضة، =

والبشير بن سلامة[(١)]. قال الدكتور عبد الله: نعم موجود.. فأحضره وهو ثلاثة أجزاء.

وباستعراض الفهارس: قرأنا في الجزء الثاني، عن ممالك الخوارج، ومن ضمنها مملكة تاهرت، التي هي الدولة الرستمية، حيث توسع المؤلف في الحديث عن معتقداتها واتِّساعها ومعالمها الحضارية، وتسميتها بالوهابية، نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم، الذي خالف أهل ملّته، كما أبان في عشر صفحات، بأن هذه الوهابية ـ الرستمية ـ تخالف أهل السنة في المعتقد[(٢)].

ثم قلت: ولعلك تحضر أيضًا: كتاب: المغرب الكبير، العصر العباسي للدكتور: السيد عبد العزيز[(٣)]، سالم إن كان موجودًا في هذه المكتبة.

= والتربية القومية، والصحة العمومية). شغل منصب الوزير الأول «رئيس الوزراء» بين عامي ١٩٨٠ ـ ١٩٨٦م. توفي في باريس سنة ٢٠١٠م عن عمر يناهز ٨٤ سنة، ودفن بالمنستير.

(١) الكاتب والسياسي التونسي البشير بن سلامة. ولد سنة ١٩٣١م. حصل على إجازة في اللغة والآداب العربية وقام بالتدريس. تفرغ عام ١٩٦٣م لنشاطه السياسي والثقافي. كان صديقًا مقربًا من محمد مزالي. تولى وزارة الشئون الثقافية بين عامي ١٩٨١ و١٩٨٦م. ثم ابتعد عن الحياة السياسة متفرغًا للكتابة. توفي سنة ٢٠٢٣م. من كتبه: الشخصية التونسية: مقوماتها وخصائصها، والنظرية التاريخية في الكفاح التحريري التونسي، والسياسة الثقافية في تونس، واللغة العربية ومشاكل الكتابة، ونظرية التطعيم الإيقاعي، وفي رحاب الأدب والفكر، والتيارات الأدبية في تونس المعاصرة، ولوحات قصصية. ينظر: رحيل المفكر التونسي البشير بن سلامة، موقع قناة ميادين، فنون وثقافة، بتاريخ: ٢٦ فبراير ٢٠٢٣م:
https://www.almayadeen.net

(٢) ينظر هذا الكتاب الجزء الثاني من ص٤٠، ٥٠. وفي مواطن أخرى.

(٣) المؤرخ الدكتور السيد عبد العزيز سالم. مؤرخ إسلامي مصري. ولد في مدينة طنطا سنة ١٩٢٨م في أسرة كبيرة. تخرج في قسم الآثار في كلية الآداب جامعة فاروق الأول «الإسكندرية» عام ١٩٥٠م. ثم سافر إلى إسبانيا وحصل على دبلوم الآثار الإسلامية. ثم حصل على الدكتوراه من جامعة السربون عام ١٩٥٧، وعين مدرسًا =

قال: نعم موجود.. ثم أحضره.

فقرأنا سويًا بعد إحضاره، في الجزء الثاني عن الدولة الرستمية، في مدينة تاهرت بالمغرب: أن عبد الرحمٰن ابن رستم، وهو من أصل فارسي، عندما أحسّ بدنوّ أجله في عام ١٧١هـ، أوصى لسبعة من خيرة رجال الدولة الرستمية، ومن بينهم ابنه عبد الوهاب ويزيد بن فنديك. وقد بويع عبد الوهاب، مما ترتب عليه نشوء خلاف بينه وبين ابن فنديك. وقد انقسمت الإباضية التي هي ديانة ابن رستم ومن معه، حيث نقلها من المشرق إلى المغرب إلى فرقتين: الوهابية نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم، والنكارية، ودارت بين الطرفين معارك ومقاتل، تنهزم فيها النكارية، إلى أن قتل زعيمها: ابن قنديرة وفي حالة ضعف من النكارية، انضم إليهم الواصلية المعتزلة.

ثم قال: وقد عزم عبد الوهاب هذا على الحج في آخر حياته، إلا أن أتباعه نصحوه بالبقاء في نَفُّوسة خوفًا عليه من العباسيين(١).

ثم قلت: ولو رجعنا إلى كتاب ألفرد بل، عن الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، من الفتح الإسلامي حتى اليوم.. لوجدناه في موضع آخر يقول: الخوارج الوهبيين الذين سموا نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي،

= للتاريخ الإسلامي في كلية البنات جامعة عين شمس، ثم كلية الآداب جامعة الإسكندرية، التي ظل بها إلى نهاية حياته، ثم صار رئيسًا لقسم التاريخ والآثار الإسلامية عام ١٩٨١م. عمله مديرًا لمعهد الدراسات الإسلامية في مدريد لسنوات، كما عمل أستاذًا زائرًا في العديد من الجامعات العربية والأجنبية. حصل على عدة أوسمة وجوائز عن جهوده التاريخية. توفي سنة ٢٠٠٣م. من كتبه: المساجد والقصور في الأندلس، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، وقرطبة حاضرة الخلافة الأموية في الأندلس، والمغرب الإسلامي، والمآذن المصرية: أصلها وتطورها حتى العصر العثماني، وتاريخ العرب قبل الإسلام.

(١) انظر هذا الكتاب ج٢ ص٥٥١ ـ ٥٥٧ طباعة دار النهضة العربية بيروت، وفيه معلومات أشمل عن عبد الوهاب ودولته، وذكر أن وفاته كانت عام ٢١١هـ.

الذي قاتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في النهروان هم: خوارج أباضية، وعن انقسامهم قال: بأن أباضيّة المغرب، في تاهرت منهم، وهم الذين كانت دولتهم الرستمية في شمال أفريقيا، وكانوا أشدّ الفرق تعصبًا. واتباع عبد الوهاب بن رستم، الذي سميت فرقته بالوهابية نسبة إليه، لما أحدثه في المذهب من تغييرات ومعتقدات.

وقد تحدث في هذا الأمر قرابة اثنى عشرة صفحة، وأخبر أنهم يكرهون أهل السنة[(١)].

ثم قلت: من هذا الرّصد وغيره في كتب العقائد والسّير، في تاريخ شمال أفريقيا، يبرز أمام طالب الحقيقة، ما حرص عليه الكاتبون من تفنيد المعتقدات خوارج الأباضيّة الرستميين، الذين منهم الوهابيون ـ نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم ـ، منذ خرجت هذه الفرقة في القرن الثاني الهجري، حيث أكّدت ذلك جميع المصادر.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي قام بدعوته للقضاء على الشوائب التي أدخلت على الإسلام في صفائه ونقاوته، رغبة منه في تصحيح العقائد، وتنقيتها من مداخل الشرك والبدع، مثلما سار من قبله دعاة منهم أحمد بن حنبل في العراق، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الشام، والعز بن عبد السلام[(٢)] في مصر، والشاطبي[(٣)] في المغرب والأندلس

(١) يراجع الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص١٥٠.

(٢) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي. ولاه صاحب مصر الصالح الأيوبي القضاء والخطابة. ثم اعتزل ولزم بيته. توفي ودفن بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ. من كتبه: الإلمام في أدلة الأحكام، وقواعد الأحكام. ينظر: فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، (٢٨٧/١).

(٣) الأصولي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغَرْنَاطي المالكي. توفي سنة ٧٩٠هـ. من كتبه: الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام، والمقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية وهو شرح لألفية ابن مالك. ينظر: نيل الابتهاج، لأحمد بابا التنبكتي، (ص٤٦ ـ ٥٠)، وفهرس الفهارس، للكتاني، (١٣٤/١).

والأمير الصنعاني[(١)] في اليمن وغيرهم.. كلهم وغيرهم من أئمة الإصلاح والتجديد، يخالفون ملل الخوارج، وما يدعون إليه من معتقدات واعتزال، وبدع، تخالف ما درج عليه أهل السنة والجماعة، وهذا مرصود في كتب: الملل والأهواء والنحل.

فحصل بحمد الله الاقتناع، خاصة بعد أن تردد اسم الوهابية في مصادرهم التاريخية والعقدية مرارًا مع إيضاح نماذج مما يدعون إليه. لكنني أحببت ترسيخ هذا المفهوم عندهم، بما لا يدع مجالًا للشك، ولكي يستفيد منه من يطلع عليه عند تدوينه، وفقًا لكلام البلاغيين: زيادة المبنى، زيادة في تمكين المعنى.

فقلت: ما رأيكم إذا اتسعنا مع المصادر، وبرز أمامنا من الحقائق التاريخية زيادة عما ذكر، ما يدل على أن علماء بلادكم وحكامها قد اهتموا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عندما حرص آل سعود على نشرها، وتبليغها لحكام المسلمين بالمكاتبات، وبعث المندوبين اقتداء بأسلافنا في أداء الأمانة، وتبليغ ما قاموا من أجله، أخذًا من قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴿٤٤﴾﴾[(٢)]، حيث قام حكام المغرب الأقصى وعلماؤه بالتقصيّ والمحاورة، ثم اقتنعوا بسلامة هذه الدعوة.

قالوا: نعم.. نريد المزيد، بالشيء المفيد، المقنع والموثّق.

قلت: سوف يكون ذلك إن شاء الله.

---

(١) عز الدين أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني، المعروف كأسلافه بـ«الأمير الصنعاني». مجتهد زيدي، من بيت الإمامة في اليمن. نشأ وتوفي بصنعاء؛ ولد سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م، وتوفي سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م. له نحو مائة مؤلف. من كتبه: توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار، وسبل السلام شرح بلوغ المرام. ينظر: البدر الطالع، للشوكاني، (١/١٣٣ ـ ١٣٩)، وأبجد العلوم، لصديق حسن خان، (ص٨٦٨).

(٢) سورة الزخرف آية ٤٤.

ثم قلت: لعلكم تعلمون أن الإمام سعود بن عبد العزيز ـ وهو الإمام الثالث من الدولة السعودية الأولى ـ[(١)] قد بعث بعد ما دخل مكة في عام ١٢١٩هـ، رسائل لملوك شمال أفريقيا: تونس والمغرب الأقصى وغيرهم، يشرح فيها حقيقة التوحيد وأصول الدين الذي جاء به الرسول محمد ﷺ، صافيًا نقيًا من الأمور التي أدخلت عليه، وبلّغه للناس بصدق وأمانه، عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهي رسالة من ثلاث صفحات، حسبما نشرتها مجلة ألمانية اسمها «إسلاميكا Islamiga»، مع دراسة باللغة الألمانية، لما تعنيه الدعوة التي قاموا بها، من أحد المستشرقين[(٢)].

وكانت هذه الرسالة توضح بمحتواها ونصّها العربي؛ ما قام به الإمام سعود ووالده من قبل، من عمل وفق أمر الله وأمر رسوله ﷺ بالدعوة إلى دين الله على نور من الله، ليزيل ما قد يكون علق بالأذهان من أكاذيب قيلت عن الدعوة، ونفاها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قبل وفاته [١١١٥ ـ ١٢٠٦ه]، وفي ردوده بقوله: سبحانك هذا بهتان عظيم، وقبلنا كُذب على صفوة الخلق عليه الصلاة والسلام كما في رسالته رحمه الله لعبد الله بن سحيم[(٣)] وهو من المعارضين له، وفي رسالته إلى عالم بغداد الشيخ

(١) الإمام أبو عبد الله سعود بن عبد العزيز بن محمد آل سعود. الإمام الثالث للدولة السعودية الأولى. حيث يعتبر منشئ أكبر دولة عربية منذ العصر العباسي. ولد سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م في مدينة الدرعية وسط نجد. تلقى العلم على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب. بويع وليًا للعهد عام ١٢٠٢هـ عن عمر ٤١ سنة، وبويع إمامًا عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م. أضحى الحجاز كله في عهده تابعًا للدولة السعودية، فتعرض في أواخر حكمه لحملات كبرى من الدول العثمانية من خلال ولاة مصر والشام والعراق. توفي الإمام سعود الكبير بن عبد العزيز في الدرعية وهو في الخامسة والستين من عمره أثناء استعداده للمسير لملاقاة والي مصر محمد علي باشا سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م، وتولى الحكم من بعده ابنه عبد الله. ينظر: البدر الطالع، للشوكاني، (٢٦٢/١)، وعنوان المجد، لابن بشر، (١٦٧/١).

(٢) تراجع هذه المجلة المجلد ٧ عام ١٩٣٥م.

(٣) من أهل الرياض ناوئ الدعوة وخاصمها وصار يكتب في الآفاق يختلق ما لم يقله الشيخ.

عبد الرحمٰن السويدي رحمه الله تعالى[(١)]: بعد أن بين لهذا الأخير عقيدته، وما يدعو الناس إليه من إخلاص العبادة لله تعالى، وإنكار ما فشا في الناس من أمر الشرك، من دعاء الأموات، والالتجاء إليهم من دون الله تعالى قال: فقام بسبب هذه الدعوة من عارضنا في ذلك، وافترى علينا الكذب ـ إلى أن قال: ـ فإني ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا وشرب الخمر وأنواع المنكرات، فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيبه، لكونه مستحسنًا عند العوام، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمر به من التوحيد، وأنهى عنه من الشرك، ولبسوا على العوام: أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس، وكبرت الفتنة جدًا، وأجلبوا علينا بخيْل الشيطان ورجله، منها: إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه، فضلًا عن أن يفتريه ومنها ما ذكرتم: أتى الكفر جميع الناس إلا من اتبّعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجبا كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟؟!!. وبعد أن عدد أمورًا كثيرة مما نسبت إليه قال: والحاصل: أن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك، فكله من البهتان، وهذا لو خفي على غيركم ما خفي عليكم[(٢)].

---

(١) الفقيه المؤرخ زين الدين أبو الخير عبد الرحمٰن بن عبد الله بن الحسين السويدي العباسي البغدادي الشافعي. من بيت عريق في العراق. ولد ونشأ وتوفي في بغداد. ولد سنة ١١٣٤هـ/١٧٢٢م، وتوفي سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م. من كتبه: حديقة الزوراء في تاريخ بغداد، وحاشية على شرح المقدمة الحضرمية، وحاشية على شرح القطر للعصامي. ينظر: سلك الدرر، للمرادي، (٢/٣٣٠)، والمسك الأذفر، لمحمود شكري الآلوسي، (ص٦٥).

(٢) انظر هذه الرسالة ورسالته رَحِمَهُ اللَّهُ إلى عبد الله بن سحيم ورسالة ابنه عبد الله في تكذيبهم لما نسب إليهم كتاب: البيان والإشهار للشيخ فوزان السبق رَحِمَهُ اللَّهُ ط الأولى عام ١٣٧٢ه ص٨٢ ـ ٨٤. ورسائل الشيخ طباعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمناسبة أسبوع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب مجلد الرسائل الجزء الخامس.

ثم قلت: ومن رغبة الحكام والعلماء في المغرب، التقصي، نرى الحقيقة التالية:

١ ـ تأثر بهذه الدعوة واهتم بها وبمحتواها بعد الدراسة والتّعمق، سلطان المغرب الأقصى: سيدي محمد بن عبد الله العلوي جدّ الأسرة الحاكمة الآن[(١)]:

حيث قام بمحاربة البدع في بلاده، كما حارب تشعب الطرق الصوفية، ودعا إلى الاجتهاد وإلى انتشار السنة، لأنه ذلك الوقت من أقوى الحكام المسلمين، ولأن بلاده قد اكتوت بنيران: الباطنية العبيدية، وأصحاب البدع مع تفشي الجهل، والوهابية الرستمية الخارجية الباطنية، علاوة على الغزو الصليبي للشمال الأفريقي، بعد سقوط الأندلس في أيدي الأفرنج.

وقد ذكر محمد جُمْعة في كتابه «**انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**»، أمورًا من أعمال سيدي محمد بن عبد الله العلوي، فيما يتفق مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحرصهما على تنقية التوحيد من البدع والشرك مع الله[(٢)].

هذا السلطان هو الذي وصفه المؤرخ الفرنسي «شارلي جوليان» في

(١) سلطان المغرب محمد المتوكل على الله المعتصم بالله بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف الحسني العلوي المالكي مذهبًا الحنبلي اعتقادًا. من ملوك الدولة السجلماسية العلوية بالمغرب، ومن خيار رجالها. وهو أول من اتخذ منهم مَرَّاكُش عاصمة له. ولد في مكناسة الزيتون سنة ١١٣٤هـ/١٧٢١م. تولى السلطنة بعد أبيه سنة ١١٧١هـ. أصلح أحوال دولته، وهاجم الفرنسيس، وأنقذ مدينة الجديدة أيدي البرتغال. اهتم بالعلم العلماء وكان منهم. من كتبه: مساند الأئمة الأربعة، والفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية، الإكسير في افتداء الأسير. توفي بالقرب من رباط الفتح سنة ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م. ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للسلاوي، (٤/٩١ ـ ١٢٢)، وإتحاف أعلام الناس بجمال حضرة مكناس، لابن زيدان، (٣/١٤٨).

(٢) يراجع هذا الكتاب طباعة دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

كتابه «تاريخ أفريقيا الشمالية» الذي ترجمه إلى اللغة العربية: محمد مزالي والبشير بن سلامة الذي مر بّنا ذكره قبل قليل.

فقرأنا في الجزء الثاني قوله: وكان سيدي محمد، وهو التقي الورع، علم بواسطة الحجيج، بانتشار الحركة الوهابية في الجزيرة العربية، وتأييد آل سعود لها، وقد أعجب بعباراتها، وكان يؤثر عنه قوله: «أنا مالكي المذهب، وهابيّ العقيدة»، وقد ذهبت به حماسته، الدينيّة، إلى الإذن بإتلاف الكتب المتساهلة في الدين، والمحلّلة لمذهب الأشعرية، وتهديم بعض الزوايا[(١)].

٢ ـ أما مؤرخ المغرب الأقصى أحمد الناصري[(٢)]، فإنه توسّع في الجزء الثامن من كتابه التاريخي «الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى» ـ ولابد أن يكون موجودًا ضمن محتويات هذه المكتبة ـ.

فقال: نعم.

فلما أحضره فتحنا على أحداث عام ١٢٢٦هـ، فإذا هو يقول: في هذا العام حجّ جماعة من المغاربة، صحبه المولى إبراهيم بن السلطان المولى سليمان، سلطان المغرب[(٣)]، الذي خلف والده السلطان: سيدي

(١) تاريخ أفريقيا الشمالية المنوه عنه، (٢/٣١١).

(٢) المؤرخ شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري الدرعي السلاوي المغربي. مولده ووفاته في مدينة سلا بالمغرب الأقصى. ولد سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٥م. كان موظفًا في خطة الجمارك ببلده، وتنقل في أعمال حكومية أخرى، ثم انقطع عن مخالطة الناس، وانكب على إتمام مؤلفاته إلى أن توفي سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م. اشتهر بتاريخه: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ومن كتبه الأخرى: زهر الأفنان في شرح قصيدة ابن الونان، وتعظيم المنة بنصرة السنة، والفلك المشحون بنفائس تبصرة ابن فرحون، والرد على الطبيعيين. ينظر: الفكر السامي، للحجوي، (٤/١٤٢)، والأعلام، للزركلي، (١/١٢٠، ١٢١).

(٣) سلطان المغرب المولى أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل الشريف العلوي المالكي. من ملوك الدولة السجلماسية العلوية في مَرَّاكُش بالمغرب. ولد سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م. بويع بفاس سنة ١٢٠٦هـ بعد وفاة أخيه المولى يزيد. وامتنعت عليه =

محمد بن عبد الله العلويّ، فقال ابنه المولى إبراهيم ومن معه: ما رأينا من ابن سعود ما يخالف ما عرفناه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدنا منه، ومن أتباعه ما به الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام، من صلاة وطهارة، وصيام ونهي عن المنكر، وتنقية الحرمين من الآثام[(١)] ثم قلت لهم: هل من شهد له وأتباعه المولى إبراهيم بن السلّطان سليمان، ومن معه من علماء، بعد المناقشة في مكة أثناء الحج عام ١٢٢٦هـ، حيث قال الناصري عن الطريقة المتّبعة في الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس، على هيئة بديعة من الاحتفال، وكانت الملوك تعتني به، وتختار له أصناف الناس من العلماء والأعيان والتّجار والقاضي وشيخ الركب، وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام[(٢)].

هذا الركب بعلمائه ووجهائه بعد مناقشته مع الإمام سعود والعلماء، هل يتفق مع عبد الوهاب بن رستم الخارجي الأباضي، صاحب الوهابية الأساسية التي جاءت عنها الفتاوى، أم أنها فرية من أعداء دين الإسلام، وصدّقها بعض المسلمين دون تمحيص ولا روية، ولا رجوع للكتب التاريخية والعقديّة الموثقة؟!

قالوا جميعًا: نحن معك واقْتنعنا. لكن كيف غاب على كثير من الباحثين، ما رصد في مصادرنا مما لا يقبل الشّك.

قلت: ولكي أزيدكم، ويستفيد منه من يطلع عليه من بعدنا، فإن

= مراكش، فزحف إليها سنة ١٢١١هـ فبايعه أهلها. وأقام فيها مدة ثم استوبأها، فانتقل إلى مكناسة، وتوفي بمراكش سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م. كانت أيامه كلها أيام ثورات وفتن وحروب، انتهت باستقرار الملك له في المغرب الأقصى. كان من العلماء محبًا لهم. له حواش وتعاليق على الموطأ وغيره. من كتبه: عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد، ورسالة في الغناء، ورسالة في السماء. ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للسلاوي، (١٢٩/٤ ـ ١٧٢)، والدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة، لابن زيدان، (ص٦٧).

(١) الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، للناصري، (١٢٠/٨).

(٢) المصدر السابق، (ص١٢١).

الناصري في تاريخه هذا، قد غطى حيزًا كبيرًا من أخبار هذه الدعوة، بأكثر من عشر صفحات، وسوف أزيدكم من قوله، وهو من المؤرخين الموثوقين عندكم، وتاريخه من مصادر بلادكم المهمة. قالوا: نعم. قلت: يقول الناصري عن السلطان سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي، الذي بويع في فاس في حدود عام ١٢٢٦هـ، وقد كان معاصرًا للإمام عبد الله بن سعود، ووالده الإمام العالم سعود بن عبد العزيز، الذي دخل مكة المكرّمة في المرة الأولى حاجًا عام ١٢١٤هـ، الموافق لعام ١٧٩٩م، بأنه أراد أن يتحقق من ابن سعود وما يدعو إليه، فأرسل ابنه المولى إبراهيم في جماعة من علماء المغرب وأعيانه، ومعه جواب من والده فوصلوا إلى الحجاز، وقضوا المناسك، وزاروا الروضة الشريفة، كل هذا على الأمن والأمان، والبرّ والإحسان، ثم أردف الناصري قائلًا: حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى إبراهيم في تلك السنة، أنهم ما رأوا من ذلك السلطان ـ يعني: الإمام سعود ـ ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدوا منه، ومن أتباعه غاية الاستقامة، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة، وصيام ونهي عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمين الشّريفين من القاذورات والآثام، التي كانت بهما من غير نكير، وأنه لما اجتمع بالشريف المولى إبراهيم، أظهر له التّعظيم الواجب لآل البيت الكريم، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته، وكان الذي تولى الكلام معه الفقيه القاضي: أبو إسحاق إبراهيم الزرعي، فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم: إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية، فأي شيء رأيتمونا خالفناه من السنة، وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا؟؟

فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتيّ، المستلزم لجسمية المستوى فقال له: معاذ الله، إنما نقول كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب.. فهل في هذا مخالفة؟!. قالوا: لا.. وبمثل هذا نقول أيضًا، ثم قال القاضي الزرعيّ له: وبلغنا أنكم تقولون: بعدم حياة النبي ﷺ، وحياة

إخوانه من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام في قبورهم.. فلما سمع ذكر النبي ﷺ، ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال: معاذ الله، إنما نقول: إنه ﷺ حيّ في قبره، وكذا غيره من الأنبياء، حياة فَوْقَ حياة الشهداء.

٣ ـ ثم في نهاية هذا الحديث قال الناصريّ: وأقول إن السلطان المولى سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان يرى شيئًا من ذلك، ولأجله كتب رسالته المشهورة، التي تكلم فيها عن حال متفقّرة الوقت ـ ويعني بهم رهبنة الصوفية ـ وحذّر فيها رضي الله عنه، من الخروج عن السنة، والتّغالي في البدعة، وبينّ فيها آداب زيارة الأولياء، وحذّر من غلوّ العوام في ذلك، وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين، جزاه الله خيرًا.

كما قال: إن المولى سليمان قد حدّد خطبة تحثّ على التوحيد، ومحاربة البدع، وأمر بتوزيعها على مساجد الجمعة، كما أمر بإغلاق زوايا الصوفية(١).

وبعد الحوار الذي دار في أمور كثيرة مما نسب لهم، قال النَّاصري: ثم قال صاحب الجيش: هذا ما حدّث به أولئك المذكورون، سمعنا ذلك من بعضهم جماعة، ثم سألنا الباقي أفرادًا فاتفق خبرهم على ذلك(٢).

ثم قلت: هذه بعض الحقائق المقرونة بالحوار والرّصد، وكما وعدتكم بعدم الخروج عما هو في محيط منطقتكم، حيث نشأت الوهابية الحقيقية، وحيث لُبِّس عليكم وعلى كثير من المسلمين، أمر وحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي قام بنشرها آل سعود.

وإلّا فإن الشيخ محمد، كما يتَّضح من رسائله وردوده التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كما مرّ بنا نماذج منها، فيها نفي

---

(١) الاستقصا، (٨/١٢١، ١٢٢).
(٢) المصدر السابق.

وتفنيد، لما الصق بدعوته من تهم وأكاذيب لم يقلها، بل قد نفاها وكرر مرارًا القول: هذا بهتان عظيم[(١)].

فكيف يصدّق العاقل، ما قيل من أمور هو في حياته سمعها ونفاها، كما نفاها تلاميذه من بعده. وهذا كتابه: كتاب التوحيد، وشرحه فتح المجيد، وتيسير العزيز الحميد، اقرأوها بتمعّن، وتدقيق، فإن رأيتم فيها شيئًا يخالف ما جاء عن رسول الله ﷺ، فلكم الحق في التشكيك، ومثل ذلك رسائله: ثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، والقواعد الأربع، وآداب المشي إلى الصلاة وغيرها.

٤ ـ أما الدكتور عباس الجراري[(٢)]، وهو من هنا من المغرب، ـ ولست أدري هل اطلعتم على محاضرته في عام ١٣٩٩هـ، بجامعة الرياض ـ جامعة الملك سعود حاليًا ـ التي قال فيها: إن التيّار السلفي في المغرب، قد ظهر مرة أخرى في بداية القرن الرابع عشر الهجري، حيث وجّه السلطان الحسن عام ١٣٠٠هـ، رسالة إلى الشعب المغربي، وقد نوّه عن هذا الناصري أيضًا، كما حصل مثل ذلك عام ١١٨٥هـ، عندما أرسل الإمام عبد العزيز بن محمد، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين[(٣)]،

---

(١) يراجع في هذا الجزء الخامس من مجموع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي نشرته جامعة الإمام وهو خاص بالرسائل والردود.

(٢) المؤرخ عبد الله بن العباس الجِرَاري المغربي. كاتب إسلامي. ولد في الرباط سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م. درس في جامع القرويين والجامعة الأمريكية بلبنان. توفي سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. من كتبه: دروس التاريخ المغربي، وتقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا، والتأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين، وشذرات تاريخية. ينظر: تتمة الأعلام، لمحمد خير رمضان، (٩/٢)، وتكملة معجم المؤلفين، لمحمد خير رمضان أيضًا، (ص٣٣٣).

(٣) الفقيه عبد العزيز بن عبد الله بن محمد الحِصَيِّن الناصري التميمي النجدي الحنبلي. ولد في الوقف من قرى الوشم سنة ١١٥٤هـ/١٧٤١م. ولي القضاء في الوشم، وأرسله الإمام عبد العزيز بن محمد سنة ١١٨٥هـ إلى والي مكة لمناظرة علمائها وعاد موفقًا. وتوفي بناحية الوشم سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م. من كتبه: رسالة في معنى العبادة. ينظر: عنوان المجد، لابن بشر، (٢٣٢/١)، ومشاهير علماء نجد، لعبد الرحمٰن آل الشيخ، (ص٢٠٦).

إلى والي مكة آنذاك لمناظرة علماء مكة، فكان من علماء مكة المشايخ: يحيى بن صالح الحنفي، وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان، وعبد العزيز بن هلال، فتفاوضوا في ثلاث مسائل، وقت المناظرة ظهرت منها لهم الحقائق المقنعة بسلامة هذه الدعوة.

ثم قلت: إن علماء مكة ذلك الوقت عندهم شبهة كما هي لدى علماء المغرب وغيرهم، حسبما يتردّد من إشاعات، وما يصلهم من أكاذيب وافتراءات ينشرها المغرضون.

وبعد ما دخل الإمام سعود بن عبد العزيز مكة ثانية، جرت مناظرات، وإجابات على تساؤلاتهم، وكان من علماء نجد: الشيخ عبد العزيز الحصيّن، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر[1]، الذي عينه الإمام سعود قاضيًا ومفتيًا بمكة حتى توفي بمكة بعد ذلك. فحصلت القناعة من علماء مكة، وصدر بهذا وثيقة وقّعها الجميع بنفي الشبهات، والأكاذيب حول الدعوة، وطبعت عده مرات.

ثم في عهد الملك عبد العزيز، بعد ما دخل مكة عام ١٣٤٣هـ، حصل مثل ذلك.. مما أوجد قناعة بسلامة منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأزيدكم علمًا بأن القباب المبنية على القبور في مكة، هدمت أيام الشريف عون الرفيق، ما عدا قبر السيدة خديجة[2]، في الفترة ما بين

(١) العلامة المحقق حمد بن ناصر بن عثمان معمر النجدي التميمي الحنبلي. قرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخيه الشيخ سليمان. جلس للتدريس بمدينة الدرعية، فأخذ عنه العلم خلق كثير. انتدبه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى مناظرة علماء مكة بطلب من شريف مكة سنة ١٢١١هـ، فظهر عليهم الشيخ حمد. تولى قضاء الدرعية، ثم قضاء مكة المكرمة، فأقام بمكة نحو أربعة سنوات، ثم توفي بها سنة ١٢٢٥هـ. من كتبه: الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكِّم السنة والكتاب. ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبد الرحمٰن آل الشيخ، (ص١٥٧ ـ ١٦٠).

(٢) أم المؤمنين خديجة بنت خُويلد بن أسد القرشية. أولى زوجات النبي ﷺ، وأول من أسلم مطلقًا. كانت أسن من النبي ﷺ بخمس عشرة سنة. ولدت بمكة سنة ٦٨ق.هـ=

الدولة السعودية الثانية، وقيام الملك عبد العزيز لإعادة الدولة السعودية في دورها الثالث، كان ذلك الهدم بمشورة الشيخ أحمد بن عيسى[(١)]، وتأييد من الشريف وبعض علماء مكة، ما يدل على القناعة.

ثم قلت: أيها الإخوة، مما دار من نقاش، ومما وجدنا من نصوص، نرى أن الوهابية لعيوبها، نسبتها إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، خطأ محض، وأن الوهابية التي صدرت عنها الفتاوى في كتبكم، لا علاقة لها بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا تقارب بينهما؛ لأن الخطّين المتوازيين لا يلتقيان.

ذلك أن الشيخ محمد وتلاميذه يمقتون الوهابية الرستمية، كما مقتها علماؤكم من قبل.. لأن دعوة الشيخ محمد سلفية، ولا يوجد فيها ما يخالف، كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

كما برز أمامنا: أن علماء المغرب برأوا علماء الدعوة وحكام آل سعود، الذين ناصروها إحياءً لدين الله، وتجديدًا لما اندثر من سنة رسول الله ﷺ، وإماتة للبدعة عندما تناظروا معهم في حج عام ١٢٢٦هـ، وظهر لهم كذب ما نسب للشيخ والدعاة لدين الله. وعلى هذا بان لنا أن أربعة من سلاطين المغرب الأقصى، اهتموا بهذه الدعوة وتبنّوا نشرها في بلادهم، وهم: -

١ - المولى السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، الذي كان معاصرًا للإمام عبد العزيز بن محمد، وتبلّغ رسالة الإمام سعود.

= من أسرة ثرية. مات أبوها يوم الفجار، وتزوجت بأبي هالة بن زُرارة التميمي، فمات عنها. عمل النبي ﷺ في تجارتها ثم تزوجها لإعجابها به وهو في الخامسة والعشرين. فولدت له: القاسم وبه يكنى، وعبد الله وهو الطاهر والطيب، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. ولم يتزوج عليها. توفيت بمكة سنة ٣ق.هـ. ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير، (٧٨/٦ - ٨٥)، والإصابة، لابن حجر، (٩٩/٨ - ١٠٣).

(١) تراجع ترجمة الشيخ أحمد العيسى في كتاب ابن بسام علماء نجد خلال ستة قرون الجزء الأول.

٢ ـ المولى السلطان: سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي، الذي أوفد ابنه المولى إبراهيم، وتناقش مع الإمام سعود بن عبد العزيز، وعلماؤه مع علماء الدعوة.

٣ ـ المولى السلطان: إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي، الذي تسلّم زمام الأمر بعد أبيه السلطان سليمان.

٤ ـ المولى السلطان: الحسن الأول في عام ١٣٠٠هـ، ووقته فترة بين الدولة السعودية الثانية والدور الثالث لهذه الدولة، الذي قام به عبد العزيز من خمسة شوال عام ١٣١٩هـ.

الملك كما أن الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ(١) اهتم بهذه الدعوة، لما عرف وهو حسني من العائلة المغربية الحاكمة، وقد كان تيجانيًا، ثم لمّا عرف حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ حرص على نشرها، في كل مكان ذهب إلية، حتى استقر آخر عمره في المغرب بفاس، ثم تحول إلى الدار البيضاء، حتى توفى رَحِمَهُ اللَّهُ ، وقد ألّف

(١) المحدث اللغوي الرحالة الدكتور أبو شكيب محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني الظاهري العراقي المغربي. عالم مغربي محدث، وإذاعي سياسي مقاوم للاستعمار. ولد في وادي سِجِلْمَاسة جنوب المغرب سنة ١٣١١هـ/١٨٩٤م. تلقي العلم في المغرب، وكان صوفيًّا تيجانيًّا، ثم تحول إلى العقيدة السلفية. تتلمذ على رشيد رضا وتلامذته وعبد الرحمٰن المباركفوري، ودرَّس في كلية ندوة العلماء بالهند. درَّس في المسجد النبوي وصار إمامه، ودرس في المسجد الحرام. ثم درس في جامعة بون بألمانيا ، وحصل هناك على الدكتوراه في الأدب العربي ، وكان المرجع اللغوي والمشرف على إذاعة برلين العربية في فترة الحكم النازي. ثم رحل إلى المغرب وشارك في مقاومة الاستعمار في المغرب. عمل أستاذًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بدعوة من الشيخ ابن باز ما بين سنتي ١٩٦٨ ـ ١٩٧٤م، ثم عاد إلى مكناس بالمغرب. توفي في الدار البيضاء سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م عن مائة عام تقريبًا. من أبرز أعماله: ترجمة صحيح البخاري إلى الإنجليزية، والهدية الهادية للطائفة التجانية، والقاضي العدل في حكم البناء على القبور، وآل البيت ما لهم وما عليهم. ينظر: علماء عرفتهم، لمحمد المجذوب، (١٩٣/١ ـ ٢٢٧)، ورسائل الأعلام ، (ص٣٠ ـ ٤٦)، وتتمة الأعلام، لمحمد خير رمضان يوسف، (١٣٥/٢، ١٣٦).

رسالة عن التيجانية وبطلانها، ومثله الشيخ عبد الرحمٰن الأفريقي[(١)] الذي كان سنغاليًّا تيجانيًّا فتركها وألف في ذم ما هم عليه.

كما جرت كتابات عديدة عن محاكمة السلفية في المغرب، وعن انتشارها، وتأثر قادتها بعلماء الحجاز ونجد، مِنْ ذلك التاريخ حتى اليوم، وقد ردّ الأستاذ أحمد العماري الذي حقق رسالة الوتري[(٢)] وقال: إن تحامله على السلفية تزمت شديد للطرقيّة على حساب السلفية والمحقق مغربيّ.

ثم قلت: أرجو أن يكون في ذلك مقنع وكفاية، وإن أردتم زيادة توضيحية أكثر سواء بنقل آراء العلماء من العالم الإسلامي، أو بوجهات نظر وتحليل المستشرقين من بلاد الغرب، الذين راقبوا الأحداث، وتتبعوا مسيرة الدعوة، فلا مانع.. لكن ذلك يحتاج إلى مصادر قد لا تتوفر هنا.

لذلك اقتصرت على علماء المغرب وحكامهم؛ لأن طارحي الشبهة الآن مغاربة، حيث يسهل الرجوع للمصادر من هذه المكتبة، وذلك أقرب إلى القناعة، أخذًا من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خاطبوا الناس بما يعرفون، حتى لا يكذّب الله ورسوله.

وقال صاحبنا: كل ما ذكرت مقنع وواقعي، وأزال بحمد الله

---

(١) عبد الرحمٰن بن يوسف الأفريقي، ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٣٢٦هـ في بلاد مالي من قارة إفريقيا الغربية، بقرية تسمى (فَفَا)، توفي رحمه الله تعالى في ليلة الثلاثاء الموافق ١٣٧٧/٣/٢٨هـ (ملخص من ترجمة له كتبها الشيخ عمر فلاتة ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ، وهي ضمن بحوث المكتبة الشاملة، بعنوان «ترجمة الشيخ عبد الرحمٰن الأفريقي».

(٢) نور الدين أبو الحسن محمد علي بن ظاهر الوتري الحسني النجفي المدني. ولد بالمدينة سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م. رحل إلى المغرب مرتين ، توفي بالمدينة سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م. ينظر: معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي، (١٢١/٢)، وفهرس الفهارس، للكتاني، (٧١/١).
نشرت هذه الرسالة في: مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس، بتحقيق: د.أحمد العماري، عدد خاص: دراسات في تاريخ المغرب، (ص ص٣٥٥ ـ ٤٠٢)، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

الشبهات التي كانت تثار، فما رأي الإخوة؟ قالوا: هذا صحيح.. ثم أردف قائلًا: لكن كيف أن هذه الإجابات المقنعة بين أيدينا، وسهلة التناول، وغاب عنا استجلاؤها.

قلت له: هذا جوابه عندكم.. وطالب العلم مسئوليته أمام الله عظيمة، فليس هو كالجاهل، الذي يلقى إليه الأمر ويصدّق، إذْ يجب أن لا يحكم طالب العلم على أمر إلا بعد البحث والاستقصاء، فالعاميّ ونصف المتعلم، إن وجد له عذر، إلا أن طالب العلم، والأستاذ الجامعيّ لا يعذران لأن كلًا منهما قدوة لغيره، ولأن طلّابه يأخذون عنه، وينتظرون توجيهه، وإزالة الشبهات من أمامهم.

◈ بداية نشأة فكرة الكتاب:

قال: هل من الممكن أن تكتب بهذا الخصوص في صحيفة النور التي تصدر في تطوان بالمغرب مقالًا، قلت: نعم.. ثم بعد أن عدت إلى المملكة بعثت لهم مقالًا موثقًا بمصادره...

وبعد أن نشر هذا المقال جاءتني رسائل إجابية وسلبية، عن صدى ما نشر عن الوهابية... فالذين تحدثت معهم، رغبوا في زيادة المقالة، حتى تصبح رسالة تضم معلومات أوسع، ليمكن طبعها هناك.

وقد استجبت، وتم ذلك ـ بحمد الله ـ وحرصت على عدم الإطالة.

مع الإشارة للمصادر حتى يسهل على راغب الزيادة، والحريص على توسيع المدارك، معرفة الكتب المعينة له في إشباع رغبته.

◈ أول طبعة الكتاب:

وقد طبعت هذه الرسالة للمرة الأولى في كتيّب في تطوان بالمغرب، في حدود عام ١٤٠٧هـ، كما طبعت ثانية بعد ذلك بعدة سنوات في الرياض عام ١٤١٣هـ، وقد حقق الله بها فائدة ونفعًا.

وما ذلك إلا أن أعداء الإسلام والراغبين في فرقة المسلمين،

وأصحاب المآرب الخاصة؛ أعاذ الله المسلمين من شرهم، قد وجدوا في الوهابية الرستمية ثوبًا جاهزًا، ألبسوه عاجلًا هذه الدعوة السلفية الصحيحة في مقصدها، ودعوتها، خوفًا من تجمّع المسلمين ضدّهم، حيث يريدونهم مثل الجياع الذين يلاحقون من يطعمهم: كالأيتام على مائدة اللئام.

هذا من جانب، وللتّنفير وبث العداوات بين أبناء المسلمين من جانب آخر، وليحققوا مآربهم بتوسيع دائرة الخلافات، ولإثارة الشبهات في المجتمع الإسلامي.

وقد كان من المصالح التي تحققت ـ بحمد الله ـ من هذه الرسالة بعد طبعها للمرة الثانية، أن أكثر من شخص من المرموقين، أخبرت عنهم، بأنه قد مرت بهم مواقف في الجمهوريات الإسلامية المنفصلة، عن الإتحاد السوفيّتي، بعد انحلال، الشيوعية لأن فتوى انتشرت هناك، مستغل مروّجها حماسة السكان إسلاميًا، وقصورهم في فهم العقيدة الصحيحة، والمعارف الإسلامية، تقول هذه الفتوى: إن قتل وهابيّ واحد، أفضل من قتل مائة يهودي. حتى صار السلفيّ لا يسير منفردًا.

فاجتمع بعضهم، ببعض العلماء وأئمة المساجد هناك. وأوضحوا لهم عن الوهابية الرستميّة، وعن حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفق ما جاء في هذه الرسالة، فكان من ذلك جلاء للغشاوة وإزالة للشبهة بتصحيح المفهوم، وقد ترجمت للغات المحليّة هناك فنفع الله بها.

والذي يجب أن يدركه كل مسلم مخلص، أن الأعداء لا يكلّون ولا يملّون من ترديد شبهاتهم، ولكن المعرفة والتعليم، وردّ الأمور في دين الله إلى أصولها من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، اللذين هما وصية رسول الله ﷺ، وأنهم إذا تمسكوا بهما لن يضلوا[١] وهما السلاح لمن يريد أن يجابه مكائد الخصوم وسمومهم.

(١) يراجع في هذه خطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

كما أن الدارسين لهذه الدعوة، خرجوا بنتيجة:

١ ـ أنها ليست حزبًا له تنظيماته. وإنما هي تجديد لدين الله، على خطى رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام وسلف هذه الأمة الأخيار.

٢ ـ أنها ليست مذهبًا يخالف به معتنقوه المذاهب الفقهية المعروفة.

٣ ـ أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سلفيّ العقيدة، شأنه شأن كل من يدعو إلى منهج السلف الصالح، في كل عصر ومصر، يدعو إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له سبحانه.

٤ ـ أما مذهبه في الفروع، فهو على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مثلما أن هناك أحنافًا سلفيون، وشوافع سلفيون، ومالكية سلفيون..

وقد بان لنا من هذا الحوار أن أحد سلاطين المغرب، وهو المولى السلطان: سيدي محمد بن عبد الله العلوي قال عن نفسه: «أنا وهابيّ العقيدة، مالكي المذهب»[(١)]، وهو لا يقصد الوهابية الرستمية، وإنما يردّ بذلك على من وصم دعوة التوحيد الخالص لله، بهذا النعت.

ومثله قال: عمران بن رضوان[(٢)]، وهو من علماء بلدة لنجه بإيران في الجهة الشرقية من الخليج: أنا وهابي لمّا بلغته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو حنفي المذهب، وقيل شافعي، وقد مدحها بقصيدة منها هذا البيت:

---

(١) ينظر: تاريخ أفريقيا الشمالية، لشارلي جوليان، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، (٢/٣١١).

(٢) القاضي المفتي مُلّا عمران بن علي بن رضوان الشافعي. من بلاد لِنْجَه في إيران. ولد أوائل القرن الثالث عشر الهجري. أسند إليه القضاء والإفتاء في بلده، وكان شاعرًا مجيدًا. وله شعر ناصر فيه دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب. توفي سنة ١٢٨٠هـ. ينظر: تاريخ لِنْجَه، لحسين بن علي الوحيدي الخُنْجي العباسي، تم إخراجه بتدقيق: عبد المنعم العِزي، د.ن، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، (ص٤٠، ٤١)، ومحمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، لأحمد بن حجر آل بوطامي، (ص٨٦).

إن كان تابع أحمد متوهّبًا ... فأنا المقرّ بأنني وهابيّ

والأمير الشيخ الصنعاني: محمد بن إسماعيل، وهو من اليمن وجيهًا وعالمًا، ومع أن مذهبه الفقهي زيديّ فإنه درس هذه الدعوة وأحبّها، ومدحها ومدح الشيخ بقصيده بدأها بقوله:

سلام على نجد ومن حلّ في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

ومثله الإمام الشوكاني(١) من اليمن أيضًا(٢).

والشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللهُ الذي مرّ بنا ذكره، وهو من علماء المغرب، وحسنيّ ينتمي للعائلة المالكية يقول عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن قصيدة:

نسبوا إلى الوهاب خير عبادة ... فيا حبذا نسبي إلى الوهابيّ

وقد استعنت بالله في إخراج هذه الرسالة المختصرة: «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» حتى تسهل القراءة؛ لأن المطولات في هذا العصر قد لا تقرأ إلا من ذوي الاختصاص، وأرجو أن تتحقق منها الفائدة في إزالة اللبس، وتنقشع الغشاوة التي أراد بها أعداء الإسلام، والراغبون في الإضرار بالمسلمين، بلبلة، الأفكار وبثّ الفرقة.. لعل الله أن يصحح المفاهيم، وينير الأذهان والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

د. محمد بن سعد الشويعر

(١) الفقيه محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني. من كبار علماء اليمن. ولد في هجرة شَوْكَان باليمن سنة ١١٧٣هـ/١٧٦٠م. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ، ومات حاكمًا بها سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م. من كتبه: نيل الأوطار، والبدر الطالع، وإرشاد الفحول. ينظر: البدر الطالع، لصاحب الترجمة، (١/٢١٤ ـ ٢٢٥)، وأبجد العلوم، لصديق حسن خان، (ص٨٧٧).

(٢) يراجع في هذا ما ذكره الشيخ ابن سحمان في الدرر السنية، وبها القصائد. وكتاب الدكتور عبد الله أبو داهش وهو من أدب الدعوة في جنوب الجزيرة، رسالة دكتوراه.

تمهيد

إذ كان المثل يقول: الناس أعداء ما جهلوا.. فإن بعض الناس أيضًا أعداء ما خالف شهواتهم وتعارض مع مصالحهم الشخصية.

والحكم الفصل فيما يجب أن ينطلق منه الفرد في رأيه وحكمه، هو عرض الأمور على مصدر التشريع السماوي الذي لا يأتيه الباطل، ولا يتطرق إليه الشك.

والمسلمون في كل مكان مأمورون قبل انطلاقهم نحو وجهة نظر معينة في أمور العقيدة، وكل ما له صلة بالدين، وقبل القدح أو المدح أن يرجعوا لمصدري التشريع في دينهم وهما:

كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ.

فمن أتى بشيء يخالفهما نبذ، ومن سار وفقهما قولًا وعملًا أيد ونصر.

هذا حكم فيما يجب أن يكون عليه الفرد المسلم، وهو الوعي والإدراك، والتحليل والتأكيد بحيث لا يكون إمعة ينقل صدى الآخرين، ويستغله أعداء دين الإسلام، وهو لا يدري.

وقصة بني المصطلق التي نزل بشأنها قرآن يتلى حيث يقول جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾[1] فيها درس عملي للفئة المؤمنة التي

(١) سورة الحجرات، آية ٦.

تحرص على دينها، وعلاقاتها بإخوانها المؤمنين، بأن تتوثق من كل إشاعة ترمي إلى خلخلة الصف، وبذر الشحناء، وإتاحة الفرصة للفرقة.

فما أكثر الأعداء الذين يحاولون الغرر بالمسلمين، وإيجاد مبررات التخاذل، لمباعدتهم عن حقيقة الإسلام وصفائه، وإدخال أشياء على المسلمين في دينهم هي من جذور طقوس الديانة اليهودية والنصرانية، التي أفسدت حقيقة تلك الديانات السماوية من قبل، بما دخلها من تبديل، في محاولة دؤوبة لبثها في صفوف المسلمين عن طريق بعض عبادهم وعلمائهم.

وهدفهم من هذا أن يتساووا معهم في المعصية والمخالفة، ليسهل بذلك النفاذ إلى المجتمع، ثم عن هذا الطريق إدخال أشياء تباعد المسلمين عن الإسلام، ومع الزمن والتساهل تتسع الشقة، ويكثر البعد، فيصبح الإسلام غريبًا على أبنائه.

يروي عن سفيان الثوري (٩٧ ـ ١٦١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ[١] أنه قال: «من فسد من علماء المسلمين ففيه شبه باليهود الذين معهم علم ولم يعملوا به، ومن فسد من عباد المسلمين ففيه شبه بالنصارى، الذين يعبدون الله على جهل وضلال»، نسأل الله السلامة والعافية[٢].

ومن هنا جاءت نقاوة الإسلام في التشريع، وصفاؤه في العقيدة. وسطًا في العمل. ووسطًا في القول، ووسطًا في الاعتقاد، وقمة في العلاقة مع الله، وقد جعل الله أمة الإسلام وسطًا بين الأمم في كل شيء قال

(١) إمام التابعين أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. ولد سنة ٩٧هـ. وهو أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. مات سنة ١٦١هـ. ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، (١٥١/٩)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، (٢١٠/١).

(٢) بعضهم ينسبه لسفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ، ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان المجلد (٢٤/١)، وفي البداية والنهاية كتاب الفتن والملاحم (٤٢، ٤٣) وفي بدائع الفوائد (٣٣/٢).

تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

فأمة الإسلام وسط بين رهبانية النصارى، وغلوهم في عيسى عليه السلام اعتقادًا، وفي عبادتهم بالضلال والجهل، وإتباعهم لرجال الكنيسة بدون فهم أو مناقشة.

وبين تحايل اليهود وكذبهم، وادعائهم على الله جل وعلا، وأنبيائه عليهم السلام، بما تصف ألسنتهم، وتعمدهم الضلال والإضلال، وإخفائهم للحقائق العلمية والعقدية في الديانة التي جاءتهم من عند الله على ألسنة الأنبياء والرسل من باب الإفساد والمخالفة.

والتاريخ الإسلامي يشير إلى أن الجهل فشا في المجتمعات الإسلامية في نهاية الخلافة العباسية بعد ما كثرت العجمة، وقل العلم، وتأثر الناس بفلسفة الرومان، وعلوم فارس والهند.

وقبل ذلك وفي أثنائه كان التأثر في أطراف الدولة أكثر، حيث نشأت فرق كثيرة لها معتقدات متباينة، ونماذج شتى في الاتجاه والهدف، وضع بذورها اليهودي عبد الله بن سبأ[2] الذي أسلم مخادعة، حتى وجد فرصة ملائمة لبث روح الفرقة بين المسلمين في عهد الخليفة الراشد: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(١) سورة البقرة، آية ١٤٣.

(٢) الزنديق اليهودي رأس الطائفة السبئية عبد الله بن سبأ اليمني. كان يهوديًا وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة. ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته. كانت طائفته تقول بألوهية علي رضي الله عنه، ورجعة النبي ﷺ فكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب برجوع محمد. ويقولون بالتناسخ، ويقول أيضًا: إن عليًا حي في السحاب. نفاه علي رضي الله عنه إلى ساباط المدائن، حيث نشأ القرامطة وغلاة الشيعة. وكان يقال له «ابن السوداء» لسواد أمه. توفي سنة ٤٠هـ تقريبًا. قال ابن حجر العسقلاني: «أحسب أن عليًا حرَّقه بالنار». ينظر: البدء والتاريخ، لمطهر بن طاهر المقدسي، (١٢٩/٥)، ولسان الميزان، لابن حجر، (٢٨٩/٣).

ونشأت أول فرقة باسم الفرقة السبئية وهو الذي أسسها.

وقد تحدثت بعض الكتب كالملل والنحل للشهرستاني، والفِصَل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، وشيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه وكتبه، عن تلك الفرق، ومتقداتها، وكيفية نشأتها، وما تخالف فيه أهل السنة والجماعة.

ويمتاز ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالرد على بعض تلك الفرق، والتنويه عن معتقدات أصحابها، وأعمال البعض الآخر.

ومن يتتبع الحركات الفكرية العقدية الإسلامية في العالم الإسلامي، منذ ذلك التاريخ، يلمس هذا جيدًا، حيث برز الصراع الفكري في المجتمع على أعقاب تعلق بعض المسلمين بفلسفة اليونان، وعلوم فارس والهند.

والمجتمع الإسلامي، لا يعدم وجود أناس يدركون ما تنطوي عليه تلك الأفكار، وما يندس في ثناياها من معتقدات، وافدة على عقيدة الإسلام الصحيحة النقية، فيصححون لمن حولهم ما أدخل في بيئتهم، وما يراد لعقيدتهم لأن جميع الملل والنحل في الأرض تريد أن تضل المسلمين عن دينهم الحق إن استطاعوا. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾[1].

وهذه حكمة أرادها الله في صراع الحق بالباطل، لتسترشد العقول، وتتفهم الأفئدة، فيرجع للصواب من أراد الله به خيرًا لأن الحق واضح بالدليل النقْلي والعقلي.

وهذا جزء من مهمات الدعوة والتوضيح التي حمل بها بنو إسرائيل. وتخلوا عنها عنادًا ومكابرة، فكان لزامًا على علماء المسلمين العارفين، الخائفين من عقاب الله ونقمته، الأنبراء لدعوة الناس إلى المنهج المحمدي في العقيدة والعبادة، وتصحيح المفاهيم العقدية حسبما أمر الله في كتابه.

(١) سورة البقرة آية ٢١٧.

ودعا إليه نبيه الكريم، ثم ما سار عليه أصحابه ومن تبعهم بإحسان امتثالًا، وتطبيقًا.

ولا تعدم كل دعوة سليمة وصحيحة في كل زمان ومكان، وجود أعداء وخصوم، إما عن جهل أو لتعصب شخصي، أو لمآرب خاصة، ومصالح ذاتية «فالهوى يعمي ويصم»، فيحرك تلك النوازع، أمثال هؤلاء، ليشهروا السلاح في وجه الإسلام علانية أو بالإستتار، فيلصقوا التهم ضد الدعاة المخلصين، ويستعينوا بالكذب والافتراء، لبلبلة الأفكار، ثم بوضع الألقاب المنفرة لنزع الثقة من هؤلاء الدعاة حتى يعمى الأمر على الغالبية العظمى من الناس، وهم العامة الذين لا يقرؤون ولا يبحثون.

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية التصحيحية التي نبعت من وسط الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر، في وقت كان المسلمون ـ لا في الجزيرة العربية وحدها، بل في كل مكان ـ أحوج ما يكونون إليها، لإنقاذهم من الجهل الذي ران عليهم، وتصحيح مفاهيمهم في أمور العقيدة والعبادات، التي أشدها الجهل بأمور الدين، والاقتداء بعلماء يجهلون أمور دينهم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق فيما يخشاه على أمته من العلماء المضلين الذين يفتون بغير ما أنزل الله فيضلون ويضلون في قوله الكريم: «**إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعًا، ولكن ينتزعه مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال فيستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون**»[1].

فقد جاءت دعوة الشيخ محمد لإزالة ما علق بتعاليم الإسلام من شوائب، وتصحيح ما أدخل على التوحيد وخاصة توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، من مشاركة للمخلوق مع الخالق، في صرف ما هو الله جل وعلا، مقرونًا بالمخلوق في العمل والاعتقاد، وتعطيل أسماء الله

(١) رواه البخاري عن عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب من ذم الرأي وتكلف القياس (حديث: ٧٣٠٧).

وصفاته جل وعلا أو نفيها والسير خلف تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان.

فصار التوحيد بأقسامه الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، مشوبًا بما يكدره، حيث دخل عليها في المعتقد والعمل ما يصرفها عن حقيقتها، نظراً للتأثر بالمعتقدات البعيدة عن المنهج الذي جاء به المصطفى، ثم الاقتداء بأصحابها بعد أن بهرهم القول، وأعجبتهم المظاهر والدعوات، لأمثال من قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾[١].

وما ذلك إلا لأن النفوس خليت من القاعدة المكينة، وهو العلم والإدراك، بما شرع الله لخلقه، ومعرفة الحكمة من إيجادهم للحياة.

لقد نشأ عن ذلك الضعف العلمي، نقص في الإدراك، وتقليد للأمم الغالبة والمؤثرة، فكثرت الطرق الصوفية التي بدأت برغبة دينية، وحرص على التبتل والمحافظة على الإسلام، فكانت بدايتها طيبة، وهدفها نبيل.

إلا أن الجهل ورغبة التوارث لهذه المكانة الاجتماعية، التي جاءت باسم المنصب الديني، قد جاء برجال لا علم عندهم، ولا قدرة لديهم في فهم رأي الشريعة الإسلامية في كثير من الأمور، وهذا ما كان يخشاه ﷺ على أمته.

ومن ينظر في إزالة الحجب، ورفع التكاليف، وأعمال المريدين والأقطاب عند أكثر الطرق الصوفية ويربط هذا بالغفران لدى النصارى، ومكانة أصحاب الألقاب في الكنيسة، وطقوس الميلاد وصكوك الغفران، يرى أن أحدهما استمد من الأخر، في هذه الجوانب وفي جوانب أخرى.

ولكي يعود للإسلام نقاوته وصفاؤه من كل شوائب دخيلة عن جهل

(١) سورة البقرة آية ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

أو تقليد، سواء من الديانة اليهودية أو النصرانية، أو من جذور الجاهلية، فإنه لابد من الامتثال لأمر الله جل وعلا في مثل قوله سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[(١)].

وإن علماء المسلمين العارفين بأمور دينهم، فهمًا حقيقيًا، لهم الذين عليهم دور التوضيح والإرشاد، والتوجيه والتبيين، حسبما يأمرهم بهذا مصدرا التشريع في الإسلام: كتاب الله وسنة رسوله الأمين ﷺ الصحيحة الثابتة التي خدمنا فيها علماء الحديث المعروفون.

وهذا ما يجب أن يعيه كل داعية، ويهتم به كل عالم من علماء المسلمين.

وفي تاريخ الدعاة والمصلحين، صفحات مشرقة نتيجة اهتمامهم وانطلاقهم في دعوة الناس من ذلك النبع الصافي الفياض، والمعين الزاخر الذي لا ينضب.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ واحد من ذلك الجيش الذي انتهج طريقًا، يتفق مع رسالة الصفوة الأولى من التابعين وإتباعهم بإحسان للإصلاح والعلم، فقد أدرك ما يعيش فيه مجتمعه من صوفية متطرفة، رغم وفرة العلماء، وما سار عليه أبناء جلدته من تعلق بالقبور التي لا تنفع ولا تضر، وتبرك بالأحجار الجامدة، ووضع الكلام في غير محله.

فكان الناس يتعلقون بتلك الجمادات طلبًا للنفع، أو دفعًا للضر، ونسوا أن الله هو النافع الضار القادر على كل شيء، وإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم.

لقد شق هذا الأمر عليه، لما فيه من جرأة على الخالق بصرف القلب والعمل إلى غيره، مع أنه هو المنعم والمتفضل سبحانه بكل شيء.

(١) سورة البقرة آية ١٢٠.

ويمكن وصف حالة المجتمع الإسلامي في كل مكان، ذلك الوقت، وليس في نجد وحدها، بما قاله المؤرخ الأمريكي لوثروب ستودارد[(١)] بمثل هذه الكلمات:

أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة، سجفًا من الخرافات، وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان إلى مكان، يحملون في أعناقهم التعاويذ، ويوهمون الناس بالأباطيل والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، وزينوا للناس التماس الشفاعة من فناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر، ورأى من كان يدعى الإسلام لغضب.

هذه ـ كما قال الشيخ عبد الله خياط إمام جامع الحرم المكي الشريف[(٢)] ـ شهادة حق من عدو منصف لم يعرف عنه الدخول في

(١) المؤرخ الأمريكي تِيودور لُوثْرُوب ستُودَّارد «Theodore Lothrop Stoddard». ولد في بروكلين بأمريكا سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، وتخرج في جامعة هارفارد سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م. صحفي تميز بسعة اطلاعه على معطيات العالم الإسلامي الحديث، وكان معجبًا بالحضارة والثقافة الإسلامية. توفي في واشنطن سنة ١٩٥٠م. من كتبه: حاضر العالم الإسلامي، والثورة على الحضارة، والإنسانية تحت سيطرة العلم. ينظر: موقع بابيليو babelio الإلكتروني: https://www.babelio.com

(٢) إمام الحرم المكي عبد الله عبد الغني محمد خياط. ولد في مكة سنة ١٩٠٨م. درس على علماء المسجد الحرام، وتخرج في المعهد العلمي بمكة سنة ١٣٥٠ هـ. كان معلمًا لأولاد الملك عبد العزيز بن عبدالرحمٰن آل سعود، ومديرًا لمدرسة الأمراء بالرياض. كما كان عضوًا في هيئة كبار العلماء، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي. تولى رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. توفي في مكة سنة ١٩٩٥م. من كتبه: التفسير الميسر، ودليل المسلم في الاعتقاد على ضوء الكتاب والسنة، والربا في ضوء الكتاب والسنة، والتربية الاجتماعية في الإسلام، وحركة الإصلاح الديني في القرن الثاني عشر. ينظر: الشيخ عبد الله عبد الغني خياط الخطيب في المسجد الحرام، لمحمد =

الإسلام، يصف واقع الإسلام والمجتمع الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري، وما وصل إليه من الانحطاط والتدني[(١)].

ويقول الأمير شكيب أرسلان[(٢)] عن هذا المؤرخ: لو أن فيلسوفًا من فلاسفة الإسلام، أراد تشخيص حالة الإسلام في هذه القرون الأخيرة، ما أمكنه يصيب المحز، ويطبق المفصل، تطبيق هذا الكاتب الأمريكي إستودارد.

ونجد والجزيرة العربية، لم تكن تختلف عن ديار الإسلام في ذلك الوقت، فقد تغلب الباطل على الحق في أكثر ديار الإسلام، وكثرت البدع والخرافات. فالعلماء موجودون ولكنهم لا يرشدون الناس للطريق الأقوم، بل أضلوهم وأفسدوا عقائدهم.

وقد ذكر المؤرخان النجديان: حسين بن غنام الإحسائي ثم النجدي

= علي حسن الجفري، د.ن، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (ص١٣ ـ ١٧، و٢٩، و٥٥، و١٠٧)، وجريدة عكاظ، العدد (١٩٠٢)، الجمعة، ٨ شعبان ١٤٢٧هـ، ١ سبتمبر ٢٠٠٦م.

(١) ضمن مقال نشر لفضيلته في عكاظ في شهر جمادي الأولى من عام ١٤٠٤هـ. وانظر كتاب الإمام محمد بن عبد الوهاب للأستاذ عبد الله بن رويشد ج٢ ص٢٤٥ ـ ٢٤٦ نقلًا عن كتاب «حضارة العالم الإسلامي».

(٢) الأمير الأديب المؤرخ شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان. من أكابر المفكرين، ويلقب بـ«أمير البيان». ولد في لبنان سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م. أقام مدة بمصر. وانتخب نائبًا عن حوران في مجلس المبعوثان العثماني. سكن دمشق خلال الحرب العامة الأولى، ثم برلين، ثم جنيف بسويسرا، ثم عاد إلى بيروت، فتوفي فيها سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م. كان من أشد المتحمسين للخلافة العثمانية. كان كثير الأسفار، زار أوروبا والأندلس وأمريكا وغيرهما. كان كثير التأليف والكتابة، يجيد الفرنسية والتركية، وله إلمام بالإنجليزية والألمانية. من كتبه: الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية، وغزوات العرب في فرنسة وشمالي إيطالية وفي سويسرة، ولماذا تأخر المسلمون، وحاضر العالم الإسلامي. ينظر: رواد النهضة الحديثة، لمارون عبود، (ص١٠٩ ـ ١١٤)، والأعلام، للزركلي، (١٧٣/٣ ـ ١٧٥).

المتوفى عام ١٢٢٥هـ[(١)]، وعثمان بن بشر المتوفى عام ١٢٩٠هـ[(٢)]، نماذج مما آلت إليه حالة الناس في العقيدة والعبادة في البلاد الإسلامية والعربية، وفي نجد بصفة خاصة باعتبارهما يعرفان الأمر عن كثب، وعرفا واقع الناس، وما هم فيه.

فابن غنام الذي عاصر الدعوة من بدايتها، وأدرك دور الشيخ محمد ومكانته في نقل الناس، من حال إلى حال، وتفانيه في سبيل الدعوة. قد أحب هذه الدعوة وأرخ لها وانتقل من أجلها من بلدة الأحساء وسكن الدرعية، حيث توفى بها، نراه في كتابه التاريخي يصف البلاد العربية عامة، ونجدًا بصفة خاصة، ويضرب الأمثال بانحراف الناس إلى الوثنية بقبر زيد بن الخطاب الذي كان عليه قبة، وله مزار في بلْدة الجبيلة قرب الرياض، إلى جانب قبور وقباب أخرى لبعض الصحابة الذين قتلوا في حروب الردة، ثم ذكر ما كان يعتنق الناس عندها من الشرك بالله من دعاء ونذور، وتبرك وتوسل من دون الله، ولم يقتصر الأمر على القبور، بل تعداها إلى الشجر والحجر والشياطين[(٣)].

ونأخذ من تاريخ ابن غنام الذي عاصر الأحداث وسجلها فكرة، ومن تاريخ خلفه ابن بشر الذي أدرك كثيرًا من مجريات الأحداث، بأن

(١) عالم الإحساء في عصره المؤرخ الفقيه الشاعر حسين بن غنام النجدي الإحسائي المالكي. ولد ونشأ في الإحساء. وأقام بالدرعية وتوفي بها سنة ١٢٢٥هـ/١٨١١م. من كتبه: العقد الثمين في شرح أصول الدين، وروضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام. ينظر: عنوان المجد، لابن بشر، (١/١٤٩)، ومشاهير علماء نجد، لعبد الرحمٰن آل الشيخ، (ص١٨٥ ـ ٢٠١).

(٢) مؤرخ نجد عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي القُضَاعي. ولد بلاد الوشم بنجد. ولد وتعلم في شقرا، وحج سنة ١٢٢٥هـ وهو فتى. توفي في نجد سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م عن نحو ثمانين عامًا. من كتبه: عنوان المجد في تاريخ نجد، والإشارة في معرفة منازل السبعة السيارة. ينظر: عقد الدرر، لإبراهيم بن صالح بن عيسى، (ص١٠١)، والأعلام، للزركلي، (٤/٢٠٩).

(٣) راجع: تاريخ ابن غنام، (١/١٥ ـ ١٨).

نجدًا قد نالها ما نال غيرها من بلاد الإسلام، من الانحراف والتدهور العقدي[١]، الذي يحركه أصحاب المصالح، ومشايخ الطرق.

ومن هنا بدأت غيرة الشيخ محمد، وتحركت همته للدعوة، أداء لرسالة المعرفة، وتنفيذًا لما يأمره به العلم، حيث رأى أن العلم لابد أن يقترن بالعمل، وأن من الأمانة توضيح ما خفي على الناس، وما يجب عليهم عمله، ويتحتم عليهم تركه، من أمور هي من الإسلام تركت، وأشياء أدخلت عليه وسارت في حياة الناس على أنها من مستلزمات العقيدة، أو جزء من أوامر الدين، وهم لا يدركون الحقيقة.

ذلك أن العلماء المنتفعون، أو الجهلة المتعالمون، ورجال الطرق الصوفية، قد لبسوا الأمر، وأفسدوا المعتقدات، وصرفوا الناس عن الفهم الحقيقي لشرائع الإسلام، ووجهوهم إلى ما يحلو لهم في المكتسب الدنيوي، والاستعلاء في السيادة.

فكان يقينًا أن تلقي هذه الدعوة التصحيحية السلفية جحودًا ونكرانًا من المقربين العارفين، وتوجسًا وخيفة من الآخرين المتطلعين، وعداء من الخصوم وأرباب المصالح.

ومن هنا بدأت الاتهامات تتوافد، والسهام تشرع، والأفكار تعمل لحبك الأكاذيب، واختراع الألقاب المنفرة.

وهذا شيء ينتظر في كل أمر جديد وفكر مناهض لما ألفه الناس، وساروا عليه قولًا وعملًا، فقديمًا قال عرب الجاهلية للنبي ﷺ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٢].

لكنه غير مقبول بعد انتهاء فترة الاختبار، وظهور الحجة الساطعة، بعد البلوى والامتحان، وبعد النقاش والحوار، والمداولة والمجادلة.

(١) راجع تاريخ ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ج١ ص٣٤ ـ ٣٥، ص٤٤ ـ ٤٥.
(٢) سورة الزخرف آية ٢٣.

فقد أثبتت المراسلات الهادئة، والكتابات الهادفة، وآراء العلماء المتزنين الذين حاوروا في مكة مجموعة من علماء الدعوة بأن الإمام سعود بن عبد العزيز الذي سار على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لم ينتهج أمرًا بدعًا، ولم يخالف في دعوته ما صح عن رسول الله ﷺ وأن الشيخ محمدًا لم يستدل في كتبه بغير الآيات القرآنية الكريمات، والأحاديث النبوية الصحيحة، حسبما دار من حوار بين علماء مكة وعلماء نجد ذلك الوقت، وبين ابن سعود وعلماء نجد من جانب، وعلماء المغرب من جانب آخر عام ١٢٢٦هـ، كما رصد ذلك في تاريخ المغرب(١).

وسوف أستعرض في هذا البحث أسماء بعض العلماء من نجد، الذين ناوؤوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وخرجوا من نجد يحملون العداء للدعوة، والكذب عليها، وتشويهها أمام المسلمين، فاقتنع بكلامهم ودعواهم البعيدون، وتأثروا بمقالاتهم، بينما هم لم يعرفوا عن الدعوة شيئًا من غير هذا الجانب، ولم يدركوا سبب الافتراء عليها ومبررات الكذب والبهتان، ضد الشيخ محمد ودعوته.

وقد نلتمس لبعض العلماء في ديار الإسلام عذرًا، إذا جاءهم أناس من أبناء المنطقة يجأرون إليهم، ويصفون الدعوة بنعوت قد توافق أهواء في النفوس، أثار بعضها أصحاب المصالح من الدول الاستعمارية، ويحرك ذلك ما عرف لدى العلماء من حسد وتناحر وتعصب، واختلاف.

◈ منشأ الخلط في فكرة الوهابية:

كما دفعني للحديث في هذا الموضوع: كتاب فقهي قديم على مذهب

(١) راجع في هذا كتاب الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ج١٠ ص٧٠ ـ ٧١، وكتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج٨ ص١٢٠ ـ ١٢٢. وانظر البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد الطبعة الأولى عام ١٢٤٤هـ.

الإمام مالك، له رغبة كبيرة في نفوس إخواننا المغاربة، وقد طبع حديثًا في بيروت عن طريق دار الغرب الإسلامي، اسم الكتاب: «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب». والمؤلف هو: أحمد بن يحيى الونشريسي. وقد نشرته دار الغرب الإسلامي في بيروت عام ١٤٠١هـ، ١٩٨١هـ.

لقد لفت نظري ما رأيت في الجزء ١١ص١٦٨ تحت عنوان سؤال، جاء بهذه العبارة: كيف يعامل معتنقو المذهب الوهابي؟؟!!

وهو سؤال ملفت للنظر، ومثير للانتباه، خاصة وأن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ الإصلاحية التجديدية، المصححة لأمور العقيدة الإسلامية مما داخلها، قد كادت لا تعرف إلا بهذا الاسم الذي أطلقه أعداؤها، على هذه الدعوة، ومن يتعاطف معها أو يسير على منوالها، حتى ولو كان لا يعرف من هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا أين قامت دعوته؟؟!!

هذا الاصطلاح جاء من باب التنفير، حيث حركت ذلك اللقب ودعت إليه بعض الطرق الصوفية ومصالحها، أو الرغبة في تفكيك المسلمين ومباعدتهم عن دينهم الحقيقي حسب منهج رسول الله وخلفائه الراشدين.

فوافق ذلك هوى في نفوس أعداء الدين الإسلامي، الحريصين على تفكيك وحدة المسلمين، وتفتيت ما بين أبناء الإسلام من أواصر ومحبة يدعو إليها دينهم، وتهتم بها تعاليمه:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾[1].

(١) سورة الحجرات آية ١٠.

«**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[(١)].

وما ذلك إلا لإذكاء روح التناحر والبغضاء في صفوف المسلمين، لأنهم أدركوا تأثير الكلمة فيما يتعلق بأمور الدين من جهة، ومن أخرى فلأن نسبة الأمية آنذاك في العالم الإسلامي عالية جدًا، فالناس لا يقرؤون ليعرفوا، ولا يفهمون إلا ما يقال لهم عن طريق أناسٍ نصبوا من أنفسهم علماء وهم أدعياء للعلم، حيث توجههم السلطات ويرون أن ما خرج عن هؤلاء يجب أن يعتقده الناس، رغم وجود أصوات تنادي بالحق، وتدعو إليه بسطًا وتوجيهًا، ولكن عينهم بصيرة، ويدهم قصيرة كما يقال في المثل.

وقد ذكر الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط إمام وخطيب الحرم المكي الشريف في لمحاته التي تصدر كل ثلاثاء في جريدة عكاظ، بأن الأستاذ أحمد علي الكاظمي[(٢)] قد أورد في كتاب ألفه كلمة قصيرة عن ضابط بريطاني اسمه «هارفورد برايجس» كان يقيم في العراق كوكيل سياسي من سنة ١١٩٩هـ، إلى سنة ١٢٠٩هـ، وكان يعاصر الإمام محمد، وكانت له صلات مع الأمير سعود بن عبد العزيز ـ الذي أصبح فيما بعد

---

(١) حديث رواه الترمذي لم أقف على تخريجه عنده، وأخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦/٦٦) واللفظ له، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثَل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى**».

(٢) المؤرخ أحمد علي بن أسد الله الكاظمي المكي. ولد في الهند سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م. درس على يد والده وعلماء المسجد الحرام، وتخرج في المعهد العلمي بمكة. كان عميدًا لكلية الشريعة في مكة المكرمة، ومستشارًا لفرع جامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة «جامعة أم القرى حاليًا». وكانت له مكتبة ضخمة أُهديت إلى جامعة أم القرى. توفي في مكة المكرمة سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. من كتبه: تاريخ آل سعود، ورحلة إلى الغرب، ومحمد طاهر الكردي الخطاط: حياته وآثاره، ويوميات الرياض. ينظر: روادنا: تراجم لنخبة من العلماء والمشايخ، لنور الإسلام بن جعفر علي، تقديم: د.عبد الله عمر نصيف، د.ن، ١٤١٧هـ، (٤٣/١)، وتتمة الأعلام، لمحمد خير رمضان، (٥٠/١، ٥١).

الحاكم الثالث للدولة السعودية الأولى بعد أن تولى الأمر بعد مقتل والده عام ١٢١٨هـ، ـ ولهذا الضابط تاريخ موجز عن الوهابية ـ ونص الكلمة كالآتي: «لقد أشاع الباب العالي أن ابن سعود كان يمنع الناس من زيارة المدينة المنورة، ولكن الصحيح أنه يمنع الناس من ارتكاب أعمال الشرك أمام الروضة، كما منع الناس من عبادة قبور الأولياء.

وقد ظن البسطاء اعتمادًا على قول أصحاب النفوذ من ولاة وغيرهم أن الوهابية ـ أو دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ـ كفر، وأن من يسير عليها، إنما هو كافر.

ولكن الصحيح الذي عرفة كل من اهتم بدراسة ذلك المعتقد، أن الشيخ محمد وأتباعه يسيرون على نهج ا الكتاب والسنة في الأصول.

أما في الفقه ـ وهو الاتجاه المذهبي ـ فوفق الفقه الحنبلي، وليسوا مذهبًا خامساً كما أطلقوا عليهم من باب التنفير لدى العامة، والفقه الحنبلي قد انتقل إلى نجد قبل ولادة الشيخ محمد بأكثر من قرن، أتى به الدارسون في مدرسة الصالحية بدمشق والدارسون في مصر وقبله كان السائد المالكي والحنفي.

وقد صدق برخاردت في قوله: إن كل ما أشيع عن الوهابية سببه سوء فهم حقيقة الدعوة الوهابية، التي لم تكن إلا تطهيرًا داخليًا للإسلام.

فهذه شهادة قررها من لا يتعرف بالإسلام كدين غير أنه منصف حكى الواقع الذي لا مرية فيه وقد قال بمثل هذا الرأي كل من: الأستاذ منح هارون في الرد على الكاتب الإنجليزي كونت ويلز. والباحث الأمريكي لوثروب ستودارد في كتاب «حاضر العالم الإسلامي».

والمستشرق الألماني كارل بروكلمان[1] في كتابه «تاريخ الشعوب

(١) المستشرق الألماني كارل بروكلمان. Carl Brockelmann ولد في شمال ألمانيا سنة ١٨٦٨م. وتخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم ثيودور نولدكه. تخصص فقه العربية وتاريخ الأدب العربي والتاريخ الإسلامي. وعين أستاذاً لها في =

الإسلامية»، الذي تناول هذه الحركة بالدرس والتحليل في الجزء الرابع.

والمؤرخ الألماني داكوبورت فون ميكوس[(١)] في كتابه «عبد العزيز» وصدر بألمانيا عام ١٩٥٣م.

والأستاذ ويلفرد كانتول[(٢)] في كتاب «الإسلام في نظر الغرب». وقد ألفه جماعة من المستشرقين.

عدة جامعات. وانتخب عضوًا في مجمع دمشق العلمي. كان غزير التأليف، متقنًا لعدة لغات. اشترك في تأليف دائرة المعارف الإسلامية، وحقق عددًا من المخطوطات العربية. توفي سنة ١٩٥٦م. من كتبه: المعجم السرياني، وتاريخ الآداب العربية، وعلم اللغات السامية، وتاريخ الآداب النصرانية في الشرق، وتاريخ الإسلام من بدئه إلى اليوم، وتاريخ الشعوب والدول الإسلامية. ينظر: المستشرقون، د.نجيب العقيقي، (ص٧٧٧ ـ ٧٨٣)، وموسوعة المستشرقين، د.عبد الرحمٰن بدوي، (ص٩٨ ـ ١٠٥).

(١) داجوبيرت فون ميكوش «Dagobert von Mikusch». ولد سنة ١٨٧٤م. كان ضابطًا في الجيش الألماني والعثماني، فقد خدم برتبة رائد في الجيش العثماني في حلب، لكنه عاد إلى ألمانيا في عام ١٩١٧م ليعمل كضابط اتصال مع مجموعة جيش يلدريم. ثم تحول فيما بعد إلى الكتابة والترجمة. من الكتاب الموالين للنازية. في الحرب العالمية الثانية قُصف بيته في برلين عام ١٩٤٤ ودُمرت مكتبته، وفقدت كثير من كتبه. توفي في برلين سنة ١٩٥٠م. من كتبه: محمد، الملك ابن سعود، الغازي مصطفى كمال «أتاتورك» بين أوروبا وآسيا. ينظر: مجلة جمعية تي إي لورانس «The Journal of the T. E. Lawrence Society»، المجلد (٣١)، العدد (٢)، ٢٠٢٢م.

(٢) المستشرق الكندي ويلفريد كانتويل سميث «Wilfred Cantwell Smith». قس مشيخي متخصص في الأديان المقارنة. وهو مؤسس معهد الدراسات الإسلامية في جامعة ماكجيل McGill University في كيبيك، ثم أصبح فيما بعد مديرًا لمركز جامعة هارفارد لدراسة أديان العالم. ولد في تورونتو بكندا سنة ١٩١٦م. أمضى هو وزوجته سبع سنوات في الهند قبل استقلالها (١٩٤٠ ـ ١٩٤٦م)، قام خلالها بتدريس اللغة الهندية والتاريخ الإسلامي في كلية Forman المسيحية. ثم قام بالتدريس في مدرسة اللاهوت بجامعة هارفارد. توفي في تورونتو سنة ٢٠٠٠م. من كتبه: معنى الدين ونهايته: نهج جديد للتقاليد الدينية للبشرية، والإسلام الحديث في الهند: تحليل اجتماعي، والإسلام في التاريخ الحديث: التوتر بين الإيمان والتاريخ في العالم الإسلامي، وحول فهم الإسلام، وما هو الكتاب المقدس؟ منهج مقارن. ينظر:

Aitken, Ellen Bradshaw; Sharma, Arvind 2017). "The Legacy of Wilfred Cantwell Smith". New York: State University of New York Press. pp. 1-19. & Stevens, Philip Terence 1985). =

والعالم الفرنسي برنارد لويس[(١)] في كتابه «العرب في التاريخ».

والمستشرق النمساوي جولدزيهر[(٢)] في كتابه «العقيدة والشريعة».

والمستشرق الإنجليزي جب[(٣)] في كتابه «المحمدية».

"Wilfred Cantweil Smith's Concept of Faith: A Critical Study of His Approach to Islam and Christianity". MA thesis. England: Durham University.

(١) المستشرق برنارد لويس Bernard Lewis. يهودي صهيوني، حاقد على الإسلام. ولد في إنجلترا سنة ١٩١٦م. تخرج من جامعتي لندن والسوربون. تتلمذ على يد المستشرق ماسنيون. درَّس في عدد من الجامعات والمعاهد البريطانية والأمريكية. يعد مستشار مهمًّا للساسة الأمريكيين حول ما يتعلق بالشرق الأوسط والإسلام. فهو من أهم المستشرقين الأمريكيين. أكثر مؤرخي الإسلام والشرق الأوسط تأثيرًا بعد الحرب العالمية الثانية. له مناقشات وسجلات مع المفكر إدوارد سعيد. توفي في أمريكا سنة ٢٠١٨م عن ١٠١ سنة. من كتبه: أصول الإسماعيليين والإسماعيلية، والغرب والشرق الأوسط، وتاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية، الحشاشون: فرقة ثورية في تاريخ الإسلام. ينظر: المستشرقون، د.نجيب العقيقي، (ص٥٦١، ٥٦٢)، ورحيل مؤرخ الإسلام والشرق الأوسط البارز برنارد لويس، الموقع الإلكتروني العربي لشبكة BBC، بتاريخ: ٢٠ مايو ٢٠١٨م:
https://www.bbc.com

(٢) المستشرق المجري اليهودي إجناس جولدتسيهر جولدزيهر Ignaz Goldziher. حاقد متعصب على الإسلام، من أكابر المستشرقين. ولد سنة ١٨٥٠م. تعلم في بودابست وبرلين وليبسيك. ورحل إلى سوريا سنة ١٨٧٣م، فاتصل بالشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة. وانتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر ولاسيما الشيخ محمد عبده. وعين أستاذًا في جامعة بودابست وتوفي بها سنة ١٩٢١م. يتحدث عدة لغات. ونشر وحقق عددًا من المخطوطات. من كتبه: العقيدة والشريعة في الإسلام، والأساطير عند اليهود، وآداب الجدل عند الشيعة، والعقائد والشرائع عند المرجئة. ينظر: المستشرقون، د.نجيب العقيقي، (ص٩٠٦ ـ ٩٠٨)، وموسوعة المستشرقين، د.عبد الرحمٰن بدوي، (ص١٩٧ ـ ٢٠٣).

(٣) المستشرق البريطاني سير هاملتون جيب Sir Hamilton R. A. Gibb. ولد في الإسكندرية سنة ١٨٩٥م، انتقل إلى أسكتلندا وهو في الخامسة من عمره للدراسة هناك والتحق بجامعة أدنبرة لدراسة اللغات السامية. عمل محاضراً في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، ثم خلف مرجليوث في جامعة أكسفورد. انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد سنة ١٩٦٢م. كان =

والمستشرق الفرنسي سيديو[(١)] في كتابه «تاريخ العرب العام».

ودائرة المعارف البريطانية التي جاء فيها: «الوهابية اسم لحركة التطهير في الإسلام، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده، ويهملون ماسواها، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح»[(٢)].

أما في بعض ديار الإسلام فهناك أصوات منصفة مسلمة قالت الحق لأنه الحق الذي يجب إبلاغه للناس عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل:

ـ الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي[(٣)] في كتابه «صيانة الإنسان

عضوًا في المجمع العلمي العربي في دمشق. أحب جيب العرب وأخلص لهم، وكان من الداعين إلى الجامعة العربية. توفي في أكسفورد سنة ١٩٧١م. من كتبه: الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى، والاتجاهات الحديثة في الإسلام، والديانة المحمدية: نظرة تاريخية عامة. ينظر: المستشرقون، د.نجيب العقيقي، (ص٥٥١ ـ ٥٥٤)، وموسوعة المستشرقين، د.عبد الرحمٰن بدوي، (ص١٧٤، ١٧٥).

(١) المستشرق الفرنسي لِوِي بيير أوجين أميلي سيديو Louis Pierre, Eugene, Amelie Sedillot. مولده ووفاته بباريس. ولد سنة ١٨٠٨م. كان أبوه من المستشرقين أيضًا. تخرج بكلية هنري الرابع، وعين مدرسًا للتاريخ في كلية بوربون سنة ١٨٢٣ واشتغل بعلم الفلك، وعلت شهرته. أغرق فيه في تفصيل فضل العرب على الحضارة الأوروبية، واهتم بالعلوم عند العرب. توفي سنة ١٨٧٥م. من كتبه: تاريخ العرب العام، وتحقيق كتاب: جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكية لأبي الحسن علي المراكشي. ينظر: الأعلام، للزركلي، (٥/٢٤٦)، وموسوعة المستشرقين، د.عبد الرحمٰن بدوي، (ص٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) راجع: محمد بن عبد الوهاب، لعبد الله بن رويشد، (٢/٣٤٥ ـ ٣٥٤)، وفيه مقتطفات من كلام هؤلاء.

(٣) الفقيه المحدث محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني العمري الفاروقي الهندي، بدر الدين خان. مولده في لكهنؤ سنة ١٢٥٩هـ/١٨٣٤م. تعلم في دهلي. عمل تحت إمرة صديق حسن خان في بهوپال كرئيس للمدارس الدينية فيها، فأقام نحو ٢٥ عامًا. ثم عاد إلى دهلي فتوفي بها سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. من كتبه: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، والحق الصريح في إثبات حياة المسيح، البرهان العجاب في فرضية أم الكتاب. ينظر: الأعلام، للزركلي، (٦/٥٣)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كَحَّالة، (٩/١٠٣).

عن وسوسة دحلان[(١)]».

ـ الشيخ محمود شكري الآلوسي العراقي[(٢)] في كتاب ألفه عن تاريخ نجد.

ـ الشيخ أحمد بن سعيد البغدادي بن سعيد البغدادي العراقي[(٣)] في كتابه «نديم الأديب».

---

(١) مفتي الشافعية بمكة أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي. ولد بمكة سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٧م. وتولى فيها الإفتاء والتدريس. وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة فطبع فيها بعض كتبه.ومات في المدينة سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م. من كتبه: الفتوحات الإسلامية، وخلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين، والدرر السنية في الرد على الوهابية. ينظر: السر المصون ذيل كشف الظنون، لجميل المعظم، (ص١١٨، ١١٩)، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق البيطار، (١٧٣/١ ـ ١٧٥).

(٢) المؤرخ الأديب أبو المعالي محمود شكرى بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني. حفيد الآلوسي صاحب تفسير «روح المعاني». ولد في رصافة بغداد سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م. وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما. حمل على أهل البدع، فعاداه كثيرون. رفض قضاء بغداد تحت الاحتلال البريطاني. ثم كان عضوًا في مجلس المعارف في الحكومة العربية في بغداد. توفي فيها سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م. من كتبه: بلوغ الأرب في أحوال العرب، وأخبار بغداد وما جاورها من القرى والبلاد، والمسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، وتاريخ نجد، وصب العذاب على من سب الأصحاب، وغاية الأماني في الرد على النبهاني. ينظر: أعلام العراق، لمحمد بهجة الأثري، (ص٨٦ ـ ٢٤١)، ولب الألباب، لمحمد صالح السهروردي، (ص٢١٨ ـ ٢٢٤).

(٣) الأديب الشاعر أحمد سعيد البغدادي الحسيني الجَيْلاني البغدادي العراقي المولد المصري الإقامة. ولد في بغداد حوالي عام ١٨٧٠م. قدم إلى مصر صبيًّا صحبة والده، ثم لم يغادرها. التحق بمدرسة الحقوق السلطانية وتخرج فيها سنة ١٨٩٧م. عمل موظفًا كتابيًّا في الدائرة السنية «الأملاك الخديوية»، ثم عمل في سلك القضاء متدرجًا في وظيفته حتى شغل منصب رئيس القلم الجنائي في نيابة مغاغة الأهلية بمحافظ المنيا. توفي في القاهرة سنة. من كتبه: حديث الطيف عن رحلة الشتاء والصيف، وثغر الحبيب لرشف الأديب «ديوان شعر»، ومؤاساة البؤساء، ونديم الأديب، وأمثال المتنبي وحياته بين الألم والأمل وقطع مختارة من شعر المتنبي. =

الشيخ جمال الدين القاسمي(١)، والشيخ عبد الرزاق البيطار(٢)، والشيخ طاهر الجزائري(٣)، والشيخ محمد كامل القصاب(٤) في أرض

= ينظر: معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، (١/٢٣٣)، وأبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين، لعبد الله الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، ١٩٧٨م، (ص٤٢٦).

(١) المحدث الشريف جمال الدين أبو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي الحسيني، إمام الشام في عصره. مولده ووفاته في دمشق، ولد سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، زار مصر والمدينة. توفي سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م. من كتبه: شرح لقطة العجلان، وموعظة المؤمنين اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ومحاسن التأويل في التفسير، ينظر: جمال الدين القاسمي وعصره، لابنه ظافر القاسمي، وحلية البشر، لعبد الرزاق البيطار، (١/٦٥٤).

(٢) الأديب المؤرخ عبد الرزاق بن حسن البيطار الميداني الدمشقي. مولده ووفاته في دمشق. ولد سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م. مهر في علوم القرآن، وكان حسن الصوت. واشتغل بالأدب مدة. كان من دعاة الإصلاح. من كتبه: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. ينظر: نفحة البشام، لمحمد القاياتي، (ص١٤٥)، ومنتخبات التواريخ لدمشق، لمحمد أديب الحصني، (ص٧٦٠، و٨٥٨).

(٣) طاهر بن صالح بن أحمد السمعوني الجزائري ثم الدمشقي. من أكابر العلماء في عصره.أصله من الجزائر، ومولده ووفاته في دمشق. ولد سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م. ساعد على إنشاء دار الكتب الظاهرية في دمشق والمكتبة الخالدية في القدس، بما امتلكه من مخطوطات. انتقل إلى القاهرة سنة ١٣٢٥هـ، ثم عاد إلى دمشق سنة ١٣٣٨هـ، فكان من أعضاء المجمع العلمي العربي، وسُمي مديرًا لدار الكتب الظاهرية. كان يحسن عدة لغات شرقية. توفي سنة ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م. من كتبه: الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية، والتبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، وتوجيه النظر إلى علم الأثر. ينظر: السر المصون، لجميل المعظم، (١٨٣، ١٨٤)، وكنوز الأجداد، لمحمد كرد علي، (٥/٥٦).

(٤) محمد كامل بن أحمد بن عبد القادر القصاب. من زعماء الاستقلال في سوريا. ولد في دمشق سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م. برع في الفقه فيها والعربية والقراءات. أنشأ المدرسة الكاملية وهي من أوائل العوامل في بعث الروح القومية العربية بدمشق. ولاه الملك عبد العزيز آل سعود إدارة المعارف في الحجاز، فأقام قليلاً، واستعفى. ثم استقر في حيفا بفلسطين فترة، ثم عاد إلى دمشق. توفي سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م. ينظر: منتخبات التواريخ لدمشق، لمحمد أديب الحصني، (ص٩١٣)، والأعلام، للزركلي، (٧/١٢، ١٣).

الشام حيث درسها هؤلاء فأعجبوا بها، ورأوا أنها على حق وصواب فنشروها في المجتمع الشامي، مما دفع السلطات العثمانية إلى إحالة عميد الحركة الشيخ جمال الدين القاسمي إلى القضاء في عام ١٩٠٨م. وقد برأه القضاء.

هذا إلى جانب آراء كثير من العلماء مثل:

السيد محمد رشيد رضا[(١)] في كتابه «محاورة المصلح والمقلد»، وكتابه الآخر «الوهابيون والحجاز»، وما ينشره في مجلة المنار، ومحمد كرد علي[(٢)]، وشكيب أرسلان، وفيليب حتى[(٣)]، وأمين

---

(١) المفسر المحدث الأديب محمد رشيد بن علي رضا القلموني البغدادي الأصل الحسيني. صاحب مجلة المنار، وأحد أشهر دعاة الإصلاح في العصر الحديث. ولد سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م. ولد ونشأ في القلمون بطرابلس الشام وتعلم فيها. رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتأثر به. ثم أصدر مجلة المنار لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. رحل إلى الهند والحجاز وأوربا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في القاهرة سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م. من كتبه: تفسير القرآن الكريم، وتاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، والوحي المحمدي، والوهابيون والحجاز، وشبهات النصارى وحجج الإسلام. ينظر: الأعلام، للزركلي، (١٢٦/٦)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، (٣١٠/٩ ـ ٣١٢).

(٢) محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي. رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤسسه. وأحد كبار الكتاب. ومولده ووفاته في دمشق. ولد سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م. كان يجيد التركية والفرنسية والفارسية. كتب في عدة مجلات. هاجر إلى مصر، فأنشأ مجلة المقتبس سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م. ثم عاد إلى دمشق سنة ١٩٠٨م. انقطع إلى المجمع العلمي العربي بعد إنشائه بدمشق سنة ١٩١٩م، وولي وزارة المعارف مرتين في عهد الاحتلال الفرنسي. توفي سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م. من كتبه: خطط الشام، وأقوالنا وأفعالنا، وغابر الأندلس وحاضرها، وأمراء البيان، والإسلام والحضارة العربية. ينظر: الأعلام، للزركلي، (٢٠٢/٦ ـ ٢٠٣)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، (١٦٢/١٠ ـ ١٦٥).

(٣) المستشرق الأمريكي فيليب خوري حتي .Philip Hitti لبناني الأصل، أمريكي الجنسية. نال الدكتوراه من جامعة كولومبيا سنة ١٩١٥م، وعين معيدًا في قسمها الشرقي وأستاذاً لتاريخ العرب في الجامعة الأمريكية ببيروت، ودرَّس في جامعات كولومبيا =

سعيد[(١)]، وعلي الطنطاوي، والزركلي[(٢)]، ومحمد جميل بيهم، وعمر أبو النصر[(٣)]، وعبد المتعال الصعيدي[(٤)] في «المجددون»، وحامد الفقي

= برنستون وهارفارد. كان مدافعًا موضوعيًّا عن فلسطين وتاريخ العرب والإسلام. توفي في أمريكا سنة ١٩٧٨م. من كتبه: أصول الدولة الإسلامية، والسوريون في أمريكا، وتاريخ العرب، وأصول الشعب الدرزي وديانته، وتاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ولبنان في التاريخ. ينظر: المستشرقون، د.نجيب العقيقي، (ص١٠١٠، ١٠١١).

(١) الصحفي المؤرخ أمين بن محمد سعيد بن حسن سعيد. من أهل اللاذقية. ولد سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م. وعمل مع أبيه في مطبعة صغيرة له، ثم رحل إلى بيروت، ثم دمشق، ثم القاهرة، ثم بيروت. أصدر عدة مجلات. وتوفي في لبنان سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م. من كتبه: الثورة العربية الكبرى، وملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، وثورة جمال عبد الناصر، وسيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وتاريخ الإسلام السياسي. ينظر: الأعلام، للزركلي، (٢/٢٠، ٢١).

(٢) المؤرخ الشاعر الدبلوماسي خير الدين محمود الزِّركلي. و«الزِّركلية» قبيلة أو أسرة كردية. ولد في بيروت سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م. نشأ في دمشق، ثم رحل إلى فلسطين فمصر فالحجاز فالقدس فعَمَّان. تولى عدة مناصب رفيعة في الحكومة الأردنية، ثم صار دبلوماسيًّا وسفيرًا للسعودية. أهدى مكتبته القيمة إلى جامعة الرياض. توفي سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م. من كتبه: الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، والوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، وشبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، وما رأيت وما سمعت. ينظر: الأعلام، للزركلي، حيث ترجم لنفسه، (٨/٢٦٧ ـ ٢٧٠)، تتمة الأعلام، لمحمد خير رمضان، (١/١٦٦، ١٦٧).

(٣) عمر أبو النصر. كاتب لبناني. ولد في بيروت سنة ١٨٨٨م، وعمل في الصحافة في لبنان ومصر وسوريا. ألف عددًا كبيرًا من الأعمال الأدبية والتاريخية والروائية، وكان له الفضل في الإشراف على طباعة الكتاب في بيروت. توفي سنة ١٩٦٠م. من كتبه: بطل الريف الأمير عبد الكريم الخطابي، وسيد الجزيرة العربية ابن سعود، وجهاد فلسطين العربية، والحشاشون في تاريخ العرب والإسلام، وجواسيس من إسرائيل إلى البلاد العربية. ينظر: موقع جوريدرز goodreads الإلكتروني: https://www.goodreads.com

(٤) العالم اللغوي عبد المتعال عبد الوهاب أحمد عبد الهادي الصعيدي الأزهري. عضو مجمع اللغة العربية، وواحد من أصحاب الفكر التجديدي والإصلاح بالأزهر. ولد في محافظة الدقهلية سنة ١٣١١هـ/١٨٩٤م. درس في كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف بالقاهرة. عرف بآرائه الإصلاحية الجريئة والصادمة. توفي سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م عن عمر يناهز اثنين وسبعين عامًا. ألف الصعيدي ٤٩ كتابًا مطبوعًا =

في «أثر الدعوة الوهابية»، وعبد العزيز بكر في «الأدب العربي وتاريخه»، ومصطفى الحفناوي، والدكتور أحمد أمين[(١)] في «زعماء الإصلاح»، ومحمد قاسم في «تاريخ أوروبا»، ومناع القطان[(٢)] في

= و ٢٠ كتابًا مخطوطًا أهداهم للأزهر. من كتبه: المجددون في الإسلام، وتاريخ الإصلاح في الأزهر، ونقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف، وقضايا المرأة، والفن القصصي في القرآن. ينظر: جهود الشيخ عبد المتعال الصعيدي في علوم القرآن والتفسير: عرض وتحليل، لصالح سهيل حمودة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٢٠م، (ص١٢ ـ ١٨).

(١) المؤرخ أحمد أمين بن إبراهيم الطباخ. عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب. مولده ووفاته بالقاهرة. ولد سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م. تولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثم عين مدرسًا بكلية الآداب بالجامعة المصرية، وانتخب عميدًا لها سنة ١٩٣٩م، وعين مديرًا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٧م واستمر إلى أن توفي سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م. وكان من أعضاء المجمع العلمية العربية بدمشق والقاهرة والعراق. من أكثر الكُتَّاب تصنيفا وإفاضة، وكان رئيسا للجنة التأليف والترجمة والنشر مدة ثلاثين سنة. من كتبه: فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام، ويوم الإسلام، وزعماء الإصلاح في العصر الحديث، وحياتي، والصعلكة والفتوة في الإسلام. ينظر: مصادر الدراسة الأدبية، ليوسف أسعد داغر، (١٣٧/٢ ـ ٢١٣)، والأعلام، للزركلي، (١٠٠/١، ١٠١).

(٢) مناع خليل القطان. أحد قادة الإخوان خارج مصر. ولد في محافظة المنوفية سنة ١٩٢٥م. تخرج في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر ونال العالِمية. شارك مع الفدائيين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م. وفد إلى المملكة للعمل بها عام ١٩٥٣م، وعمل مستشارًا خاصًّا بوزارة الداخلية السعودية. درَّس في كلية الشريعة بالرياض، ثم في كلية اللغة العربية، والمعهد العالي للقضاء ومديرًا له، وكان مديرًا للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود. توفي بالرياض سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، عن عمرٍ ناهز ٧٥ عامًا. من كتبه: مباحث في علوم القرآن، وتفسير آيات الأحكام، ونظام الأسرة في الإسلام، والدعوة إلى الإسلام، وموقف الإسلام من الاشتراكية، والإسلام رسالة الإصلاح، ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية. ينظر: نهاية بحث: وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية في شؤون الحياة كلها، د.مناع خليل القطان، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، الرياض، المملكة العربية السعودية، رجب إلى رمضان ١٣٩٥هـ، العدد (١)، (ص٩٠).

«دعوة الإسلام»، وعبد الكريم الخطيب[(١)] في «محمد بن عبد الوهاب»، ومحمد ضياء الدين في مجلة الإرشاد الكويتية رجب عام ١٣٧٣هـ، والدكتور محمد بن عبد الله ماضي[(٢)] في «حاضر العالم الإسلامي». وأحمد حسين[(٣)] في «مشاهداتي في جزيرة العرب» بعد أن أدى فريضة الحج عام ١٩٤٨م (١٣٦٧ه). والعقاد[(٤)] في «الإسلام في القرن

(١) المفسِّر والمفكر الإسلامي والبحاثة عبد الكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب. ولد في سوهاج بصعيد مصر سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م. تخرّج في مدرسة المعلمين ثم في دار العلوم. عمل بالتدريس، ثم وزارة الأوقاف. ثم عمل مدرسًا بكلية الشريعة في الرياض عام ١٣٩٤هـ والعام الذي بعده. توفي سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. من كتبه: التفسير القرآني للقرآن، والقصص القرآني، والتعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، والمهدي المنتظر ومن ينتظرونه، والدعوة الوهابية، ومسلمون وكفى. ينظر: رجال وراء جهاد الرابطة خلال ربع قرن، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ، (ص٤١)، وتتمة الأعلام، لمحمد خير رمضان، (١/٣١٧، ٣١٨).

(٢) الدكتور محمد عبد الله ماضي. ولد في محافظة البحيرة سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٣م. ونال العالِمية في الأزهر، وسافرفي بعثة إلى ألمانيا ودرس في جامعة برلين ثم جامعة هامبورج وحصل على الدكتوراه في الاجتماع والتاريخ الإسلامي. كان عضوا في مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ومشرفًا على لجنة اختبار القراء بالإذاعة المصرية، وعضوًا بمجمع البحوث الإسلامية. عمل سكرتيرًا للأزهر الشريف، ثم مدير المعاهد الدينية، وأخيرًا وكيل للأزهر. كان أحد أقرباء الدكتور محمد البهي. من كتبه: المذهب الوهابي كمبدأ إصلاحي في العصر الحديث، والنهضات الحديثة في جزيرة العرب، والأزهر في ١٢عامًا. توفي سنة ١٩٨٧م. ينظر: تراجم الشخصيات من موقع ذاكرة الأزهر، (١/ ـ ٥١).

(٣) السياسي الصحفي أحمد حسين. ولد في القاهرة سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م. مؤسس حزب «مصر الفتاة» عام ١٩٣٣م. كان له ولحزبه حضور قوي في السياسة المصرية وصاحب مشروع القرش ودخل معركة الطربوش. نفاه عبد الناصر اختياريا خارج مصر، ثم عاد معتزلاً السياسة، وتفرغ للكتابة. توفي سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. من كتبه: الأمة الإنسانية، تاريخ الإنسانية، ووالد وما ولد، ومشاهداتي في جزيرة العرب، ونبي الإنسانية. ينظر: تكملة معجم المؤلفين، لمحمد خير رمضان، (ص٣٤، ٣٥)، وتتمة الأعلام، له أيضًا، (١/٣١، ٣٢).

(٤) المفكر العملاق عباس محمود إبراهيم العقاد. من أبرز المفكرين والكتاب في العصر الحديث. ولد في أسوان سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م. كان موظفًا بالسكة الحديدية وبوزارة =

العشرين»، وطه حسين[(١)] في بحث نشره عام ١٣٥٤هـ عن «الحياة الأدبية في جزيرة العرب»[(٢)]. والشيخ أحمد بن حجر القاضي[(٣)] بقطر

= الأوقاف بالقاهرة، ثم معلمًا في بعض المدارس الأهلية. وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف. كان يتقن الإنجليزية والألمانية والفرنسية، وكان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة. توفي بأسوان سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م. من كتبه: سلسلة العبقريات، والمرأة في القرآن، وما يقال عن الإسلام، والتفكير فريضة إسلامية، وأنا. ينظر: الأدب العربي المعاصر، د.شوقي ضيف، (١/١٢٠)، والمجمعيون، د.محمد مهدي علام، (ص٨٤ ـ ٨٧).

(١) طه حسين علي سلامة. من كبار الأدباء والمثقفين. ولد في محافظة المنيا بالصعيد سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م. كف بصره في الثالثة من عمره. درس في الأزهر، ثم في الجامعة المصرية، وهو أول من نال شهادة الدكتوراه منها سنة ١٩١٤م بكتابه «ذكرى أبي العلاء». ثم درس في فرنسا وتخرج بالسوربون سنة ١٩١٨م وتأثر بأفكار وشبهات الغرب عن الإسلام. عاد إلى مصر، وعين محاضرًا في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم كان عميدًا لتلك الكلية، فوزيرًا للمعارف. كان رئيس مجمع اللغة بمصر .توفي بالقاهرة سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م. ينظر: الأدب العربي المعاصر، د.شوقي ضيف، (١/٢٤٢)، والمجمعيون، د.محمد مهدي علام، (ص٧٩).

(٢) راجع مقتطفات من هذه الأقوال في محمد بن عبد الوهاب لابن رويشد ج٢ ص٢٧٥ ـ ٣٦٠.

(٣) القاضي أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي. أحد رموز الدعوة والقضاء في قطر. ولد سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٥م. تولى القضاء في في رأس الخيمة سنة ١٩٣٧م، ثم في قطر سنة ١٩٥٨م لمدة خمسة وثلاثين عامًا. توفي في قطر سنة ١٤٢٣هـ. امتاز الشيخ بإنتاجه الوافر وقلمه السيَّال. من كتبه: الدرر السنية في عقد أهل السنة المرضية، وتطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران، والشيخ محمد بن عبد الوهاب: عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، والشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر المفترى عليه، والرد الشافي الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر، وتطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات، وتحذير المسلمين من البدع والابتداع في الدين. ينظر: رجال في تاريخ الإمارات، لعبد الله الطابور، د.ن، ط١، ١٩٩٣م، (١/١١٥ ـ ١٢٦)، وجهود العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي رحمه الله تعالى في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين، لإسماعيل بن غضاب بن سليمان العدوي، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٨هـ، (ص٢١ ـ ١٣٤).

في كتابه «الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، ومسعود الندوي[(١)] في كتابه «مصلح مظلوم ومفترى عليه»، والدكتور محمد جميل غازي[(٢)] في كتابه «مجدد القرن الثاني عشر»، وأمين سعيد في كتابه «سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب»، ومسلم الجهني في كتابه «أثر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي»، وغيرهم كثير جدًا.

وإن ما يرى ويلمس عن تسمية الدعوة السلفية بالوهابية، فهو مما أطلقه خصوم هذه الدعوة السلفية التصحيحية، التي نبعت من الجزيرة العربية، غيرة على دين الله، ولإزالة ما علق بتعاليم الإسلام من شوائب، وما أدخل على التوحيد من مشاركة للمخلوق مع الخالق، في صرف ما هو له جل وعلا، مقرونًا بالمخلوق، وفي هذا منافاة لمضمون الحديث القدسي الذي جاء فيه قول الله جل وعلا: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»[(٣)].

ومن باب ربط السبب بالمسبب، ومحاولة التصحيح لما علق بأذهان

---

(١) الباحث مسعود الندوي الباكستاني. من كبار العاملين في الدعوة للإسلام ونشر اللغة العربية في بلاده. ولد سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م. أنشا في باكستان دار العروبة الإسلامية. توفي سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م. من كتبه: تاريخ الحركة الإسلامية في الهند، والاشتراكية وموقف الإسلام منها، والشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعية المظلوم. ينظر: الأعلام، للزركلي، (٢٢٠/٧، ٢٢١)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، (٢٣٢/١٢).

(٢) محمد جميل غازي. ولد بمحافظة كفر الشيخ سنة ١٩٣٦م. حصل على الدكتوراه من كلية اللغة العربية عام ١٩٧٢م. ترأس مجلس إدارة المركز الإسلامي لدعاة التوحيد والسنة بعد أن أسسه. كما عمل كبير الباحثين في المجلس الأعلى للفنون والآداب، وكان عضوًا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. توفي بالقاهرة سنة ١٩٨٨م. من كتبه: الطلاق شريعة محكمة لا أهواء متحكمة، والصوفية: الوجه الآخر، ومحنة الأحمدين. ينظر: السلفيون في مصر، لمحمد حامد عبد الوهاب، مكتبة الأنصار، القاهرة، ٢٠١٢م، (ص٢٥٣ ـ ٢٥٩).

(٣) أخرجه مسلم في باب تحريم الرياء عن زهير ابن حرب ص٢٩١ الأحاديث القدسية.

الناس عبر مدة زمنية طويلة نقول: إن أولئك الخصوم أعطوا هذه الدعوة اصطلاحًا في القلب هو «الوهابية» من باب التنفير والتشويه وتلقفها من جاء بعدهم، حيث إن أول من حرك ذلك الاصطلاح ودعى إليه أصحاب بعض الطرق الصوفية والدراويش التي أخطأت هي في فهم الدين الإسلامي على نقاوته، وكما يجب أن يفهم، ليتعبد الناس به خالقهم كما أمروا بذلك؛ لأن الإسلام لا رهبانية فيه.

وما ذلك إلا أن بعض القائمين على تلك الطرق يحكمون الجانب الذاتي، فلا يهتمون إلا بما يتوفر لهم من مصالح ومكاسب دنيوية يخشون ضياعها، ونسوا أن تعاليم الإسلام وشرائعه أسمى من ذلك، وأن إخلاص العمل يجب أن يراد به الله جل وعلا وحده.

وسلاحهم في الوصول لما يريدون: التضليل على العوام، والتلبيس أمام السلطة وتخويفها من هذا الصوت الجديد على مصالحها من باب استعدائها عليه.

فتلقف ذلك أعداء الإسلام حيث لقي هوى في نفوسهم، لحرصهم على تفكيك وحدة المسلمين، وغرس بذور الشر بينهم، لأنهم أدركوا ووعوا خطر ما ترمي إليهم الدعوة الصحيحة لدين الإسلام، وإذكاء الحماسة الدينية لدى المسلمين، على مصالحهم وسيطرتهم على ديار الإسلام.

وهذا الموضوع وإن كان قد كتب الناس فيه كثيرًا، نسأل الله أن ينفع المسلمين بما كتب لهم، وأن يعيد ضالهم إلى الطريق الأقوم، فهو سبحانه القادر على ذلك.

إلا أن الذي لفت نظري، ودفعني للحديث في هذا الجانب، هو ما وجدته في ذلك الكتاب الفقهي القديم على مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث أثار انتباهي كما قلت من قبل عنوان هذا السؤال: كيف يعامل معتنقو المذهب الوهابي؟؟!!

وفي قراءتي لنص السؤال وجدته كما يلي:

سئل اللخمي عن قوم من الوهبية سكنوا بين أظهر المسلمين زمانًا، وأظهروا الآن مذهبهم وبنوا مسجدًا.. إلى آخر ما جاء في السؤال.. الذي ختمه بقوله: **فهل لمن بسط الله يده في الأرض الإنكار عليهم وضربهم، وسجنهم حتى يتوبوا من ذلك؟؟**

ولما كان الجواب فيه قساوة وحدة، ولم يفصل عن هذه الفرقة، وما إذا كانت نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي الخارجي المتوفى عام ٣٨هـ[١] في وقعة النهروان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأنه قد خرج عليه بعد التحكيم[٢]، أو نسبة إلى شيء آخر أيًا كان زمانه ومكانه.

وأنه لم يشر فيه إلى شيء آخر غير هذا، بل إن أحد الإخوة من المغرب العربي قد فهم كما يتبادر للذهن لدى آخرين، بأن المقصود من ذلك دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لأن المعهود الذكرى يتغلب على ما يراد بحثه واستقصاؤه، ومع هذا فإن صاحب هذا الفهم من ذوي العلم والمكانة، حيث جرى معه حوار تراجع ـ بحمد الله ـ عن فهمه السابق بموجبه، وهذه الرسالة استجابة لمطلبه.

وقد يعذر هو وغيره لأن الهجوم منصب على هذه الدعوة من كل جانب، والدفاع عنها قليل، ولأن هذه التسمية قد طغت وعمت، وفتاوى علماء المغرب القديمة، على الوهابية الرستمية الخارجية الأباضية تنفر

(١) رأس الخوارج وأول أئمتهم عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي الخارجي. كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة، وكان عجبًا في العبادة. أدرك النبي ﷺ، وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. ثم كان مع علي رضي الله عنه في حروبه. ولما وقع التحكيم، أنكره جماعة فيهم الراسبي، فاجتمعوا بالنهروان وأمَّروه عليهم، فقاتلوا عليًّا رضي الله عنه، وقُتل الراسبي في هذه الوقعة سنة ٣٨هـ. قال عنه ابن حزم: «لا سابقة له ولا صحبة، ولا فقه، ولا شهد الله له بخيرٍ». ينظر: الفصل، لابن حزم، (١٢٢/٤)، والإصابة، لابن حجر، (٧٨/٥).

(٢) انظر الكامل لابن الأثير في حوادث عام ٣٨ه.

الناس منها، وتكفر أتباعها لما عرفوه عنها من مخالفة لأهل السنة والجماعة، إذ قد أفتى غير اللخمي علماء آخرون كالشيخ السيوري(١).

ومن هنا فقد أحببت التثبت أولا عمن يعني السائل والمجيب، ثم إزالة ما في الأمر من لبس، وجلاء ذلك الاشتباه الذي قد لا يدركه كثير من الناس، من باب أمانة العلم وتوثيق المعلومات، ولأن هذا اللبس قد امتدت بعض المفاهيم، حوله وألبست ثوبًا جاهزًا على دعوة سلفية تباين ذلك الاتجاه وتخالفه.

(١) شيخ المالكية وخاتم الأئمة بالقيروان أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث المالكي القيرواني. كان زاهدًا فاضلًا ديناً نظَّاراً. أحد من يضرب بحفظه المثل في الفقه ومعرفة الخلاف، مع الزهد والتعبد. ويقال: إنه مال أخيرًا الى مذهب الشافعي. وهو من شيوخ أبي الحسن اللخمي (ت٤٧٨هـ). توفي بالقيروان سنة ٤٦٠هـ عن سن عالية. له تعليق على نكتٍ من المدونة وكان يحفظها. ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، (٦٥/٨، ٦٦)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (٢١٣/١٨).

الوهابية أو الوهبية.. من هم؟!

في القرن الثاني الهجري، وعلى يد عبد الوهاب بن رستم، انتشرت في الشمال الأفريقي فرقة الوهابية نسبة إلى عبد الوهاب هذا، وهي فرقة متفرعة عن الوهبية الفرقة الإباضية الخارجية، نسبة إلى مؤسسها الأصلي عبد الله بن وهب الراسبي، وبعضهم يسميها الراسبية.

ولما كان أهل السنة بالمغرب كله يناوؤنها؛ لأنها تخالفهم في المعتقد، وقد كفرهم كثير من علمائهم، كما نلمس في فتاواهم القديمة.

ومن هنا أحببت التوثق من المصادر المهتمة بهذا، ولذا فقد رجعت لترجمة حياة علي بن محمد اللخمي، وهو الذي وجه إليه السؤال فإذا هو قد توفى عام ٤٧٨هـ، وأنه فقيه مالكي قيرواني الأصل توفى بسفاقس[(١)].

أما المؤلف أحمد بن يحيى الونشريسي، فقد جاء على غلاف كل جزء من أجزاء المعيار ـ طرته ـ وتحت اسمه بأنه توفى بفاس عام ٩١٤هـ.

ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو صاحب الدعوة السلفية التصحيحية في نجد، لم يكن قد ولد بعد، حيث إن ولادته عام ١١١٥هـ، بالعينية، وبدأ الدعوة مع الإمام محمد بن سعود بالدرعية منذ عام ١١٥٨هـ.

وعلى هذا فإن هذا الجواب الذي ترتب عن السؤال قد سبق ولادته

(١) ينظر: الحلل السندسية ص١٤٣ والأعلام للزركلي ج٥ ص١٤٨.

بأكثر من ستمائة عام بالنسبة لوفاة المجيب وهو اللخمي، وأكثر من مائتي عام بالنسبة لوفاة المؤلف الونشريسي.

وكلا الأمرين يحدثان لبسًا لدى من يريد المقارنة، ووضع الأمور في نصابها.

وهذا الأمر قد دفعني للبحث تأريخيًا في كتب المغرب عن أصل ذلك المذهب ومتى وجد؛ لأن في الأمر لبسًا لابد من جلائه. إما بمعرفة المقصود، أو أن زيادة قد حصلت في الكتاب لم يكن للمجيب والمؤلف ضلع فيها.

خاصة وأن هذا السؤال وجوابه قد جاءا في كلام الونشريسي مرة باسم الوهبية، وأخرى بالوهابية، ولم يعلق الناشر أو المحقق عليه بشيء، مما يجعلني أعتقد أن كثيرًا من كتب المغاربة، وخاصة منها ما يتعلق بالعقائد، قد تعرض لمثل هذا بشيء من التوضيح، في أماكن متفرقة.

ومن باب ربط الحوادث التاريخية بمصادرها، وإشراك القارئ في قراءة ورصد ما تحفل به بعض المصادر، فإن الموضوع يحتاج إلى مراجعة تاريخية متفحصة، لكي نعرف ما يحاول دسه أعداء الإسلام في تاريخ أمة الإسلام، للتنفير من كل عمل تصحيحي عقدي في المجتمع الإسلامي، لأنهم يعرفون حقيقة الإسلام وما يضفيه على أبنائه إذا ساروا على منهجه الصحيح جيدًا، وما يعود به على الأمة من ألفة ومحبة وترابط، لا تستطيع معه قوى الشر أن تنفذ لديار الإسلام أو تجد بين أبناء المسلمين مستقرًا، أخذًا من حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي**»... وذكر منهن: «**ونصرت بالرعب مسيرة شهر**»[(١)].

فلابد أن يجدوا منفذًا في ديار الإسلام، للاستفادة من خيراتهم بالتركيز على كلمتهم المعهودة: فرق تسد. فسيادة أعداء الإسلام في ديار الإسلام، وتمكنهم من التصرف في أمورهم، واستثمار خيرات بلادهم

(١) متفق عليه.

والتسلط عليهم فكريًا، كل هذا لا يتم إلا ببث الفرقة، وإيجاد مسببات الشحناء، وبذور الكراهية بين الأفراد والجماعات.

وأعداء الإسلام كالشيطان الذي يسترق السمع فإذا وجد كلمة بنى عليها كذبات كثيرة لإفساد ذات البين وبلبلة الأفكار.

واستنتج هذا من بعض النصوص التاريخية، والوقائع الزمنية التي وقع نظري على جزء منها حيث تراءى أمامي أثناء البحث ما يلي عن الفرقة الوهابية التي بشمال أفريقيا:

١ ـ جاء في كتاب «المغرب الكبير» الجزء الثاني: العصر العباسي للدكتور السيد عبد العزيز سالم[١] أن عبد الرحمٰن بن رستم الذي أسس الدولة الرستمية في مدينة تاهرت بالمغرب. عندما أحس بدنو أجله في ١٧١هـ، أوصى بالأمر السبعة من خيرة رجال الدولة الرستمية، ومن بينهم ابنه عبد الوهاب، ويزيد بن فنديك، وقد بويع عبد الوهاب، مما ترتب عليه نشوء خلاف بينه وبين ابن فنديك.

وقد انقسمت الإباضية ـ التي هي ديانة ابن رستم ومن معه، حيث نقلها من المشرق إلى المغرب ـ إلى فرقتين: الوهابية نسبة إلى

(١) المؤرخ الدكتور السيد عبد العزيز سالم. مؤرخ إسلامي مصري. ولد في مدينة طنطا سنة ١٩٢٨م في أسرة كبيرة. تخرج في قسم الآثار في كلية الآداب جامعة فاروق الأول «الإسكندرية» عام ١٩٥٠م. ثم سافر إلى إسبانيا وحصل على دبلوم الآثار الإسلامية. ثم حصل على الدكتوراه من جامعة السربون عام ١٩٥٧، وعين مدرسًا للتاريخ الإسلامى في كلية البنات جامعة عين شمس، ثم كلية الآداب جامعة الإسكندرية، التي ظل بها إلى نهاية حياته، ثم صار رئيسًا لقسم التاريخ والآثار الإسلامية عام ١٩٨١م. عمله مديرًا لمعهد الدراسات الإسلامية في مدريد لسنوات، كما عمل أستاذًا زائرًا في العديد من الجامعات العربية والأجنبية. حصل على عدة أوسمة وجوائز عن جهوده التاريخية. توفي سنة ٢٠٠٣م. من كتبه: المساجد والقصور في الأندلس، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، وقرطبة حاضرة الخلافة الأموية في الأندلس، والمغرب الإسلامي، والمآذن المصرية: أصلها وتطورها حتى العهد العثماني، وتاريخ العرب قبل الإسلام.

عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن ابن رستم، والنكارية، ودارت بين الطرفين معارك ومقاتل تنهزم فيها النكارية إلى أن قتل زعيمها ابن قنديره، وفي حالة ضعف من النكارية انضم إليهم الواصلية المعتزلة.

وقد عزم عبد الوهاب هذا على الحج في آخر حياته، إلا أن أتباعه نصحوه بالبقاء في «نفُّوسة» خوفًا عليه من العباسيين.

وقد توفى عبد الوهاب هذا الذي يعتبر المؤسس للدولة الرستمية ذات الاتساع في شمال أفريقيا عام ٢١١هـ[(١)].

٢ ـ أما المؤلف الفرنسي شارلي أندري، فقد تحدث في كتابه «تاريخ أفريقيا الشمالية» تعريب محمد مزالي، والبشير بن سلامة عن ممالك الخوارج، ومن ضمنها مملكة تاهرت التي هي الدولة الرستمية، وقد أفاض في حديثه عن معتقداتها، واتساعها ومعالمها الحضارية وتسميتها بالوهابية نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم الذي خالف أهل ملته كما أبان بأنها تخالف أهل السنة في المعتقد[(٢)].

٣ ـ كما تحدث ألفرد بل في كتابه «الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي: من الفتح العربي حتى اليوم»، وقد ترجم هذا الكتاب عن الفرنسية عبد الرحمٰن بدوي في عدة مواضع، وقال بأن الخوارج الوهبيين الذين سموا نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي، الذي قاتله الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في النهروان هم خوارج أباضية.

وعن انقسامهم أيضًا حيث قال: بأن إباضية المغرب في تاهرت منهم، وهم الذين كانت دولتهم الرستمية، وكانوا أشد الفرق تعصبًا.

ثم قال عن إتباع عبد الوهاب بن رستم هذا الذي سميت فرقته

(١) انظر هذا الكتاب ج٢ من ص٥٥١ إلى ص٥٥٧ طباعة دار النهضة العربية بيروت. وفيه معلومات أشمل عن عبد الوهاب هذا ودولته.

(٢) راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب من ص٤٠ إلى ص٥٠، ومواطن أخرى.

بالوهابية نسبة إليه لما أحدثه في المذهب من تغيرات ومعتقدات: بأنهم أشد الأباضية تقوى، وكانوا يكرهون الشيعة قدر كراهيتهم لأهل السنة[(١)].

٤ ـ والزركلي في «الأعلام» أخذ خلاصة من عشرة كتب تعرضت لسيرة الأباضية. والدولة الرستمية في تيهرت بالجزائر، ومما جاء في كلامه عنه بأن عبد الوهاب هذا ثاني الأئمة الرستميين من الأباضية، فارسي الأصل كان مرشحًا للإمامة في حياة أبيه، وجعلها أبوه شوري فوليها بعد وفاته بنحو شهر سنة ١٧١ه، واجتمع له من أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع مثله لزعيم إباضي قبله، وكان فقيهًا عالمًا شجاعًا يباشر الحروب بنفسه وله مواقف كثيرة مذكورة واستمر إلى أن توفى، وفي تاريخ وفاته خلاف، والزركلي يرجح أن وفاته ١٩٠هـ[(٢)].

ومن هذه النبذة الصغيرة نستدل على أن هذه الفرقة قد رصد عنها أشياء كثيرة، ليس من الفرنسيين وحدهم ـ بل من أبناء البلاد أيضًا، منه ما جرى الاطلاع عليه، وأكثره لم نطلع عليه.

لأن عبد الوهاب الرستمي هذا قد جعل من تاهرت مركزًا فكريًا، وفتح باب الجدل مع علماء السنة، ثم الشيعة التي قامت دولتهم في نهاية القرن الثالث الهجري باسم الدولة الفاطمية، حيث قضى عبد الله الشيعي في عام ٢٩٦هـ، على الدولة الرستمية[(٣)].

مما تبلور عنه تفنيد معتقدات الرستميين، التي تختلف مع ما يراه أهل السنة والجماعة، وثبتت به الأحاديث الصحيحة.

وهذا الحوار هو الذي تفتق عنه جذور عميقة عند علماء وفقهاء المغرب، حول هذه الفرقة ومعتقداتها.

(١) انظر ص١٥٠، ومن ص١٤٠ إلى ص١٥٢ من هذا الكتاب.
(٢) راجع الأعلام ج٤ ص٣٣٣ ـ ٤٣٣ ومن هامشه يتضح مراجعه لمن يرغب الاستزادة.
(٣) انظر البيان المغرب في أخبار الأندلس والمعرب ج١ ص١٩٧ وفيه سمي عبد الوهاب عبد الوارث.

وقد استغل المستعمرون وأصحاب المصالح تلك الجذور، في إذكاء العداوة بين أبناء المسلمين فيما بعد، فألبسوا الثوب القديم، بما فيه من عيوب، وما عليه من مثالب لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ودعوته الإصلاحية السلفية كما البسوا هذا الثوب لكل دعوة تدعو إلى نقاوة الإسلام. والاقتداء بالمسيرة الأولى في تبليغ دين الله الحق منذ قام بها رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده. مستغلين الحزازات ضد الدعوة الجديدة التي جاءت لإصلاح العقائد، وإعادة الناس إلى منزلة الإسلام الأولى، التي سار عليها الصفوة الأولى من أمة الإسلام مدة ثلاثة قرون، لم تعرف الدخائل ولا البدع، اللهم إلا فرقًا عرفت بمباعدتها للإسلام حيث قوتلت في وقائع كثيرة ابتداء من الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، الذي جرد سيفه لقتالهم، اتباعًا لمنهج الرسالة المحمدية، التي حاد عنها أولئك الذين خرجوا عليه.

الاستعمار ومواجهة الدعوة

كما هي عادة أعداء الإسلام، لا يدخلون في المواجهة مع الإسلام، لمعرفتهم بعدم الصمود لأن حججهم واهية، ولكنهم يستغلون فئات من المنتمين للإسلام، ليجعلوهم جسورًا يعبرون منهم إلى مآربهم ويضعون باسمهم الشبهات، حيث أدرك الصليبيون والحاقدون على الإسلام من واقع مجريات الأمور في الأندلس، وفي أرض الشام، وفي حروب الدولة العثمانية مع أوروبا وغير ذلك من المواقف العديدة، أن الإسلام الصافي من الشوائب، والحريص أبناؤه على نشر دين الله، وتخليص الأمم الأخرى مما يخالفه هو عدوهم الأول، فلا يستطيعون مجابهته لأنه هو المنتصر، إذًا فلابد من تشويه صورته، وتفرقة أبنائه، وإثارة الفتن والقلاقل في بيئته.

أولًا: فالانجليز مثلًا لمسوا آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، في أعظم مكان يعتزون باستعماره والاستيلاء على خيراته، عندما تلقفها الهنود على يد الداعية الإسلامي أحمد بن عرفان الشهير بأحمد باريلي وأتباعه، وفي حركات أخرى مثل: «الفراتفيين وتيتومان» نزار علي[(١)].

(١) انظر انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية تأليف محمد كمال جمعة ص٦٣ ـ ٨٧.

تلك الدعوات التي ناوأت القاديانية الكافرة، التي أرادها الانجليز واجهة إسلامية تحقق مآربهم، وينضوي تحتها من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه.

ويظهر انزعاج الإنجليز، وحرصهم على القضاء على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي تمثل يقظة جديدة في الدين الإسلامي، ودعوة إلى فهمه من مصادره الصافية: كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، أنهم بذلوا جهودًا وأموالًا في هذا السبيل، وقد أبانت رحلة «سادلير» الضابط البريطاني(١) وقائد الفوج (٤٧) ومبعوث الحكومة البريطانية في الهند، الذي قام برحلة شاقة من الهند إلى أن وصل الرياض، ووقف على أطلال الدرعية التي هدمها إبراهيم باشا بناء على تخطيط اشترك في الإعداد له الإنجليز، ليطمئن على تفتيت الحكومة الإسلامية التي تحركت في الجزيرة لإيقاظ المسلمين، والقضاء على، قاعدة الدعوة السلفية بنفسه، لما أحدثته من خوف وقلق بداخل الحكومة الانجليزية خوفًا على مصالحها، وقد كان في رحلته هذه ضمن قافلة كبيرة أغلبها من الأتراك، أبانت هذه الرحلة جانبًا مهمًا في التعاطف والحرص على القضاء على هذه الدعوة التي تمثل يقظة إسلامية توحد المسلمين، كما أبانت عن حقد الانجليز على الإسلام، ذلك الحقد المخطط له من التبشير الكنسي الموجه بأفكار المستشرقين، ودسائسهم.

---

(١) الضابط البريطاني سادلير، جورج فورستر .Sadlier, G. F يعد أول من زار الجزيرة العربية من الشرق، واستمر في سيره غربًا. وقد تلقى سادلير تعليمات من الحاكم البريطاني في الهند بأن يقابل إبراهيم باشا الذي كان قد احتل الدرعية عام ١٨١٩م، ويعرض عليه التعاون مع السلطات البريطانية لتحطيم قوة القراصنة في الخليج العربي. وصل سادلير إلى مسقط في يونيو ١٨١٩م، وغادرها إلى القطيف ثم الهفوف بحثًا عن مكان إبراهيم باشا. ومنها ذهب إلى الرس ليلتحق بالباشا الذي كان قد غادرها إلى المدينة، فذهب للقائه في ينبع؛ ليصبح بذلك أول أوروبي يقطع شبه الجزيرة العربية عرضًا من الساحل للساحل. ومن ينبع ركب سادلير البحر إلى جدة، حيث قضى بها ثلاثة أشهر قبل أن يغادرها، بعد فشل المهمة التي كُلف بها من قِبل الحاكم البريطاني. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، حرف السين.

فقد مر بالدرعية متشفيًا في ١٣ أغسطس من عام ١٨١٩م[(١)]، وبعد أن ارتاحت نفسه شد الرحال لاحقًا بإبراهيم باشا[(٢)] حتى أدركه في آبار علي، على مقربة من المدينة المنورة ليقدم له التهاني بهذا النصر، مقرونة بهدايا حكومة الهند الشرقية «الحكومة البريطانية»[(٣)] هذا من جانب، ومن جانب آخر حتى يطمئن الحكومة البريطانية على نتائج القضاء على قادة هذه الدعوة، وهدم وتدمير قاعدة الملك فيها، وذلك عام ١٢٣٣هـ؛ لأن آثارها قد امتدت لمواطئ أقدام الإنجليز في ديار الإسلام في كل مكان.

وكان سادلير يكرر عبارات التشفي والارتياح، للقضاء على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مثل قوله: «مع سقوط الدرعية، وخروج عبد الله عنها، يبدو أن جذور الوهابيين قد انطفأت، فقد عرفت من كل البدو الذين قابلتهم في نجد أنهم سنيون وأنهم يداومون على الصلاة المفروضة حتى في السفر الطويل وتحت أقسى الظروف»[(٤)].

ثم من باب التفرقة أيضًا في داخل البلد الواحد يقول: «إن البدو لم

(١) راجع رحلته ترجمة أنس الرفاعي وتحقيق سعود بن غانم العجمي ص٨٧ ـ ٨٧، وص٩٦ ـ ٩٩.

(٢) إبراهيم باشا بن محمد علي باشا المصري. ولد في قولة بالروملي سنة ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م، وقدم مصر مع طوسون بن محمد علي سنة ١٢٢٠هـ فتعلم بها. وأرسله محمد علي سنة ١٢٣١هـ بحملة إلى الحجاز ونجد، ثم جعله قائدًا للحملة المصرية في حرب المورة. ثم سيطر على بلاد الشام، وتوغل في أراضي الدولة العثمانية وقارب الآستانة. ضم سوريا إلى مصر وتولى حكمها، ثم استردها العثمانيون بمعونة الإنجليز، فعاد إلى مصر سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م. نزل له محمد علي عن إمارة الديار المصرية سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م، لكن إبراهيم باشا توفي بعد ذلك بسبعة أشهر قبل وفاة أبيه سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م. ينظر: عنوان المجد، لابن بشر، (١/١٨٥) وما بعدها، وأعلام الجيش والبحرية، لعبد الرحمٰن زكي، (١/١٧).

(٣) نفس المصدر من ص١٠٥ ـ ١١٠، وص١٥٦ ـ ١٥٩.

(٤) نفس المصدر ص١٤٩.

يثبتوا على الوهابية إلا مرغمين وذلك حين كانت الدعوة قوية، وسهلت لهم سبل النهب»[١].

مع أن الدولة السعودية منذ أن قامت على ركيزة الدعوة إلى الله، مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عام ١١٥٨هـ، كانت تحكم شرع الله، وتقطع يد السارق، فأمنت الطرق؛ لأن أول ما حاربته النهب والاعتداء على الناس، أو أخذ أموالهم.

وهذا وغيره من كلامه فيه تناقض وتشويه للحقيقة، وخداع للناس بما يعطي من معلومات، لأسباب جاءت في كتابه عندما تحدث عن قوة القواسم البحرية في الخليج والبحر العربي، حتى وصلوا إلى بومباي في الهند، وهاجموا سفنًا عديدة لحكومة الهند الشرقية وسفنًا حربية انجليزية، والقواسم ممن أيد الدعوة السلفية فهم يعاضدونهم؛ لأن مبادئ الدعوة السلفية تحض على مقاومة السلطان الأجنبي لأنهم كفار لا يحق لهم بسط النفوذ على ديار الإسلام.

ولأن ولاية الكافر لا تجوز على المسلم، فالمسلمون يجب أن يلوا أمورهم بأنفسهم ليحكموا شرع الله في بلادهم.

وقد تحدث سادلير في كتابه هذا كثيرًا عن هذا الموضوع الذي أرق بريطانيا فتحدث مع إبراهيم باشا، وحمل كتابًا من الإنجليز له، بطلب التحالف ضد القواسم، وعن دور بريطانيا في شرق الجزيرة العربية لمناوأة كل من يؤيد الدعوة السلفية، التي أيقظت همة الناس وفتحت مغاليق أفكارهم، وحركتهم من سبات عميق.

وقد ظهرت همومه وسمومه ضد الإسلام والمسلمين في مواقف:

١ ـ بث العداء بين أهل اليمن ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كقوله: وقد سقط آخر زعيم يمني وهابي خلال إقامة هذا الباشا ـ ويعني خليل باشا ـ وهذا الزعيم هو محمود بن محمد، الذي جيء به مكبلًا

(١) نفس المصدر ص١٥٠.

بالأغلال إلى حبك ومن هناك أرسل بسفينة إلى مصر.. إلى آخر حديثه عن اليمن[(١)] ومثل هذا ما هو إلا محاولة للتفرقة بين أبناء الأمة الواحدة كما قال عن عُمان وأبناء الجزيرة العربية كلامًا يدعو للفرقة مع أن أبناء الجزيرة جميعًا يربطهم الإسلام ويجمع شملهم مصدرا التشريع فيه كتاب الله وسنة رسوله الله[(٢)].

٢ ـ وصفه التساهل الديني بالتقدم الحضاري، والمحافظة على شعائر الإسلام بالتناقض مع متطلبات النفس في مثل قوله: يصف بدو نجد: «وهم حريصون جدًا على عباداتهم ولا يهملون أيًا من الصلوات المفروضة مهما كان المسير طويلًا في أسفارهم وتحت أشق أنواع الحرمان والعوز، ويظهر التناقض الغريب عنده بمقارنة هؤلاء البدو مع الأتراك الذين يتسمون بثقافة روحية أكثر، لكنهم لا يسمحون للدين أو للصلوات أن تتعارض مع راحتهم واطمئنانهم أبدًا»[(٣)].

٣ ـ محاولة الحط من قدر أهل المدينة المنورة، ووصفهم بنعوت كثيرة كالشحاذين والجشع. وأن من حقهم ـ اعتقادًا ـ ـ أن يكونوا متغطرسين، وأنهم يعيشون على صدقات الحجاج إلى غير هذا مما ينبئ عن جذور صليبية[(٤)].

٤ ـ لكن الأغرب من ذلك أن يقول سادلير عن إبراهيم باشا:

أ) بأنه تناول معه الطعام على الطريقة الإنجليزية وأنه تحدث معه عن رحلته، وأعطاه الهدايا البريطانية والخطابات، قبل دخوله المدينة للسلام على الرسول ﷺ وقدم له الشاي والدخان والسعوط، والغلايين، وفنجان القهوة يقدم في صحن مرصع بالألماس[(٥)].

---

(١) انظر كتاب هذا ص١٥١ ـ ١٥٣، وص١٤٨.
(٢) انظر كتاب هذا ص١٠٨.
(٣) انظر رحلته هذه: رحلة عبر الجزيرة العربية ص١٤٩.
(٤) انظر رحلته هذه ص١١٦، ١١٨.
(٥) انظر رحلته هذه ص١٠٥، وص١٠٦، ص١٠٩، ص١١٠.

ب) إنه ليس إلا ولد متبنى لمحمد علي[(١)] وعندما ترعرع أمضى سنة كرهينة في إستنبول، ويقال: إن إبراهيم باشا ولد بعد شهور قلائل من زواج والديه، لكنه كان مفرطًا في إدمانه على الخمر، وجلفًا مع الأشخاص المستخدمين عنده[(٢)].

ج) وفي موطن آخر يقول: وكان يشرف على خدمة بعض المماليك فقط، ولدى دخوله أرض «محمد» المقدسة صمم سعادته على اعتزال اللهو والمسكرات، فأهدر كل ما كان مختزنًا عنده منها، مما أتى به من القاهرة، وكان ذلك قبل انطلاقه نحو المدينة[(٣)].

ثانيًا: والفرنسيون أيضًا لهم دور فقد أحسوا باهتمام الشمال الأفريقي بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحرصهم عليها في مثل:

١ ـ اهتمام سيدي محمد بن عبد الله العلوي، سلطان المغرب الأقصى بها حيث قام بمحاربة البدع والانحراف، كما كان يحارب تشعب

(١) مؤسس مصر الحديثة محمد علي باشا الألباني. ولد في قولة باليونان سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م. احترف تجارة الدخان، فأثرى. وكان أميًّا، فتعلم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره. قدم مصر وكيلاً لرئيس قوة من المتطوعة جهزتها قولة تتألف من ٣٠٠ رجل، لمواجهة الفرنسيين. وما زال حتى صار والي مصر سنة ١٢٢٠هـ، فعني بتنظيم حكومتها ونهضة بمصر نهضة كبرى وعمل على تحديثها، وأرسل البعثات العلمية لأوروبا. وقتل المماليك غدرًا بالقلعة. ولما قامت الدولة السعودية الأولى حاربها وقضى عليها. شارك في حرب المورة. واستولى على سوريا من العثمانيين، ولم تلبث أن انتُزعت منه بعد أن جعلت له الدولة العثمانية حكم مصر وراثيًّا سنة ١٢٥٧هـ. واعتزل الحكم وتنازل عنه لابنه إبراهيم باشا سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م، وأقام في قصر رأس التين بالإسكندرية مريضًا، إلى أن توفي بها سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م، ودفن بالقاهرة. ينظر: النخبة الدرية، لمحمد دري الحكيم، (ص١٠ ـ ١٦)، والمجمل في التاريخ المصري، نشره: د.حسن إبراهيم حسن، (ص٣٠٥ ـ ٣٣٩).

(٢) نفس المصدر ص١٣٧، وانظر بالتفصيل من ص١٣٧ إلى ص١٤٣.

(٣) نفس المصدر السابق ص١٣٧، وانظر بالتفصيل من ص١٣٧ إلى ص١٤٣.

الطرق الصوفية، ويدعو إلى العودة إلى الاجتهاد وإلى السنة[(١)] إلى جانب حرصه الشديد وحرص الدولة العلوية منذ أن قامت على محاربة النصارى، وفي تعاطفهم مع الدعوة السلفية قوة تمتد إلى نفوذ الفرنسيين.

هذا السلطان هو الذي وصفه المؤرخ الفرنسي شارلي جوليان بقوله: «وكان سيدي محمد وهو التقي الورع على علم بواسطة الحجيج بانتشار الحركة الوهابية في الجزيرة العربية وتأييد عائلة آل سعود لها، وقد أعجب بعباراتها، وكان يؤثر عنه قوله: «أنا مالكي المذهب وهابي العقيدة، وقد ذهبت به حماسته الدينية إلى الإذن بإتلاف الكتب المتساهلة في الدين، والمحللة لمذهب الأشعرية، وتهديم بعض الزوايا»[(٢)].

٢ ـ كما أنه في عام ١٢٢٦هـ، حج جماعة من المغاربة صحبة المولى إبراهيم بن السلطان المولى سليمان سلطان المغرب، ونقل عنهم صاحب كتاب «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى»: أنهم ما رأوا من ابن سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر، وتنقية الحرمين من الآثام[(٣)].

٣ ـ رسالة بعث بها الإمام سعود بن عبد العزيز لأهل تونس يشرح فيها حقيقة التوحيد، وأصول الدين وهي رسالة طويلة تقع في ثلاث صفحات مطبوعة، كما جاءت في صحيفة ألمانية ضمن مقال طويل باللغة الألمانية لأحد المستشرقين عن الوهابية في المغرب، أما الرسالة فقد كتبت باللغة العربية[(٤)].

(١) انظر كتاب انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٢٣٥ تأليف: محمد جمعة كمال نشرته الدارة
(٢) انظر كتابه: تاريخ أفريقيا الشمالية ج٢ ص٣١١.
(٣) انظر هذا الكتاب التاريخي في أحداث عام ١٢٢٦ه‍.
(٤) انظر صحيفة إسلاميكا ISLAMIGA وهي دورية ألمانية، كما علق على الرسالة الكاتب بتشويه الدعوة بخلاف ما جاء في الرسالة وهذا غير مستغرب من المستشرقين، العدد الأول المجلد السابع عام ١٩٣٥م ص٧٢ وما بعدها.

٤ ـ والسلطان سليمان بن محمد بن عبد الله الذي بويع في فاس عام ١٢٢٦هـ، كان معاصرًا للإمام عبد الله بن سعود[(١)]، ووالده الإمام سعود بن عبد العزيز الذي دخل مكة عام ١٢١٧هـ، الموافق لعام ١٨٠٢هـ، أراد أن يتحقق من ابن سعود وما يدعو إليه، فأرسل ابنه المولى إبراهيم في جماعة من علماء المغرب، وأعيانه ومعه جواب من والده. فوصلوا إلى الحجاز وقضوا المناسك، وزاروا الروضة المشرفة، كل هذا على الأمن والأمان والبر والإحسان، ويقول في هذا الشيخ أحمد الناصري صاحب كتاب «الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى» من ص١١٩ إلى ص١٢٣: «حدثنا جماعة وافرة من حج المولى إبراهيم في تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان ـ يعني ابن سعود ـ ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل به من غير نكير، وأنه لما اجتمع بالشريف المولى إبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لآل البيت الكريم، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته، وكان الذي تولى الكلام معه الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم الزرعي، فكان جملة ما قاله ابن سعود لهم: إن الناس يزعمون أننا من مخالفون للسنة المحمدية، فأي شيء رأيتمونا خالفناه من السنة، وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا؟ فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي. فقال له: معاذ الله، إنما نقول كما قال الإمام مالك: الاستواء

(١) الأمير المغدور عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد. من أمراء آل سعود، وليها بعد وفاة أبيه سنة ١٢٢٩هـ. حاربته جيوش العثمانيين القادمة من مصر، وحاصر الدرعية قائدهم إبراهيم باشا، وأرسله إبراهيم إلى مصر، فأكرمه واليها محمد علي باشا، ووعده بالتوسط له عند حكومة الآستانة، فقال: المقدر يكون. فحمل إلى الآستانة ومعه اثنان من رجاله، لكنهم قتلوا هناك غدرًا سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٨م. وكان الأمير عبد الله شجاعًا تقيًّا. ينظر: قلب جزيرة العرب، لفؤاد حمزة، (ص٣٣٣)، وصقر الجزيرة، لأحمد عبد الغفور عطار، (٧٨/١).

معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، فهل في هذا مخالفة؟ قالوا: لا، وبمثل هذا نقول أيضًا.

ثم قال له القاضي: وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ، وحياة إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم، فلما سمع ذكر النبي ﷺ ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه. وقال: معاذ الله، إنما نقول: إنه ﷺ حي في قبره وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء».

وفي نهاية ذلك الحديث قال المؤلف: «وأقول إن السلطان المولى سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يرى شيئًا من ذلك ولأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها عن حال متفقرة الوقت، وحذر فيها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة، وبين فيها آداب زيارة الأولياء، وحذر من غلو العوام في ذلك، وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين جزاه الله خيرًا»[(١)].

وينقل الأستاذ محمد كمال جمعة عن دائرة المعارف الإسلامية، بأن المولى سليمان قد تأثر بعد عام ١٨١٠م، بالوهابية أو على الأصح بالدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما جعله يتخذ موقفًا صارمًا ضد المربوطية وهو اللقب الذي كان يطلق في المغرب على الصوفيين[(٢)].

٥ ـ كما ينقل عن الدكتور عباس الجراري في محاضرة ألقاها في عام ١٣٩٩هـ بجامعة الرياض: بأن هذا التيار السلفي في المغرب قد ظهر مرة أخرى في بداية القرن الرابع عشر الهجري حين وجه السلطان الحسن الأول سنة ١٣٠٠هـ، رسالة إلى الشعب المغربي[(٣)].

---

(١) انظر انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحمد كمال جمعة ص٢٣٥ ـ ٢٣٧، وانظر: الاستقصا للناصري أيضًا ج٨ ص١٢٠/١٢٢.
(٢) نفس المصدر ص٢٣٧.
(٣) انظر المصدر السابق ص٢٣٧ ـ ٢٣٨ وفيه تفصيل أكثر، والاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ص١١٩ ـ ١٢٣ ج٨.

٦ ـ وقد تحدث أحمد بن حجر عن الحركة السنوسية التي أسسها محمد بن علي السنوسي(١) في الجزائر وأنه تأثر بها عندما كان يطلب العلم في مكة، وقت استيلاء آل سعود عليها، وقد ابتدأ حركته الإصلاحية في الجزائر على ضوء تعاليم الإصلاح الديني الإسلامي الذي أضرم نارها في الجزيرة العربية محمد بن عبد الوهاب(٢).

ثالثًا وفي مصر: يلمس من يقرأ تاريخ عبد الرحمٰن الجبرتي(٣) المتوفى عام ١٢٣٧هـ، المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار في مثل قوله: ولغط الناس في خبر الوهابي، واختلفوا فيه، فمنهم من يجعله خارجيًا، ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو عرضه. ثم أورد رسالة من رسائل الإمام سعود التي أرسل لشيخ الركب المغربي، تتضمن دعوته وعقيدته، وقد بين في تلك الرسالة أمور الدين مجملة، وعرض لبيان

(١) أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الإدريسي الحسني الخطابي المالكي، صاحب الجبل الأخضر. ولد في الجزائر سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م، وتعلم بفاس وتصوف. زار تونس وطرابلس وبرقة ومصر ومكة. ثم رحل إلى برقة سنة ١٢٥٥هـ وأقام في الجبل الأخضر، فبنى الزاوية البيضاء، وكثر تلاميذه وانتشرت طريقته. ثم انتقل إلى واحة جغبوب، فأقام فيها إلى أن توفي فيها سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م. ينظر: المنهل العذب، للنائب الأوسي، (٣٧٤/١)، وشجرة النور الزكية، لمخلوف، (٥٧٠/١، ٥٧١).

(٢) انظر كتاب محمد بن عبد الوهاب ص١٠٦ ـ ١٠٧.

(٣) مؤرخ مصر عبد الرحمٰن بن الحسن بن إبراهيم الجبرتي الحنفي. ولد في القاهرة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م. ونسبة «الجبرتي» إلى «جبرت»، وهي الزيلع في بلاد الحبشة. تعلم في الأزهر، وكان أبوه من علمائه. جعله نابليون حين احتلاله مصر من كتبة الديوان. ولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي باشا. قتل له ولد، فبكاه كثيرًا حتى ذهب بصره، ولم يطل عماه فقد عاجلته وفاته مخنوقًا بشبرا سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م. من كتبه: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ومظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس. ينظر: الأعلام، للزركلي، (٣٠٤/٣، ٣٠٥)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، (١٣٣/٥).

الشفاعة، وفتنة تعظيم القبور، والنذور ـ أي للمقبورين ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتخاذ الوسائط عند الله، وأعقب ذلك بقوله: وعلى هذا أقول إن كان كذلك فهذا ما ندين الله به نحن أيضًا، وهو خلاصة لباب التوحيد، وما علينا من المارقين والمتعصبين، وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم[(١)] في كتابه «إغاثة اللهفان» والحافظ المقريزي[(٢)] في «تجريد التوحيد» والإمام اليوسي[(٣)] في «شرح الكبرى» ـ وذكر كتبًا أخرى ـ كلها

(١) الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، المعروف بـ«ابن قيم الجوزية». أحد كبار العلماء. مولده في دمشق سنة ٦٩١هـ، ووفاته فيها أيضًا سنة ٧٥١هـ. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه. من كتبه: إعلام الموقعين، والطرق الحكمية. ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١٤/٢٣٤)، والدرر الكامنة، لابن حجر، (٣/٤٠٠).

(٢) مؤرخ الديار المصرية تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي المقريزي. نسبته إلى حارة المقارزة من حارات بعلبك في أيامه. ولد ونشأ ومات في القاهرة. ولد سنة ٧٦٦هـ. وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، واتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة ٨١٠هـ، وعُرض عليه قضاؤها فأبى. وعاد إلى مصر. توفي سنة ٨٤٥هـ. من كتبه: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، والسلوك في معرفة دول الملوك، والبيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب، والتنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، وشذور العقود في ذكر النقود، وتجريد التوحيد المفيد، وإمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، واتعاظ الحنفاء في أخبار الأئمة الفاطميين والخلفاء. ينظر: التبر المسبوك في ذيل السلوك، للسخاوي، (ص٢١)، والبدر الطالع، للشوكاني، (١/٧٩).

(٣) نور الدين أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي المراكشي الأشعري المالكي. ولد سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م. تنقل في الأمصار طلبًا للعلم، ثم استقر بفاس مدرسًا واشتهر. توفي في تَمْزَرَنْت بالمغرب سنة ١١٠٢هـ/١٦٩١م. من كتبه: منح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب، زهر الأكم في الأمثال والحكم، وحاشية على شرح السنوسي وحاشية على كبراه، والكوكب الساطع في شرح جمع الجوامع. ينظر: صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، للأفراني، (ص٢٠٦ ـ ٢١٠)، والاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للسلاوي، (٤/٥١).

تدافع عن حقيقة التوحيد الصافي النقي، الذي هو صلب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[(١)].

ومن جانب آخر ذكر الجبرتي مطامع الإنجليز في الشمال الإفريقي المسلم عندما ذكر قصة الانجليز مع أهل الجزائر؛ لأن لهم صولة واستعدادًا ويغزون مراكب الإفرنج ويغنمون منهم غنائم ويأخذون منهم أسرى، وتحت أيديهم أسرى كثير من الإنجليز وغيرهم، فقد جاء الإنجليز بمراكبهم ومعهم مرسوم من السلطان العثماني، ليفتدوا أسراهم بمال، فأعطاهم أهل الجزائر ما يزيد عن الألف أسير، ودفعوا عن كل أسير مائة وخمسين ريالًا فرنسيًا، ورجعوا من حيث أتوا، إلا أنهم بعد مدة رجعوا وبأيديهم مرسوم آخر يطلبون باقي الأسرى، فامتنع حاكم الجزائر من ذلك، وترددوا في المخاطبات، وفي هذه الأثناء وصلت عدة مراكب فأثاروا الحرب والضرب بطرائقهم المستحدثة، فأحرقوا مراكب أهل الجزائر. وقد أمد سلطان المغرب مولاي سليمان أهل الجزائر، وبعث إليهم مراكب عوضًا عن الذي تلف[(٢)].

رابعًا: الإيطاليون: أقلقهم ما قام به محمد بن علي السنوسي المولود في الجزائر عام ١٢٠٢هـ، من دعوة إصلاحية في ليبيا لإعادة الإسلام إلى صفائه، ووضعه الصحيح في النفوس تطبيقًا وعملًا، والوقوف ضد الإيطاليين الوافدين، الذين لا يهمهم إلا استغلال خيرات البلاد، والتفريق بين المسلمين[(٣)].

كما أقلقهم تأثر الحجاج الصوماليين بها، وامتدادها إلى القرن الأفريقي لقربهم من الجزيرة العربية، وتأثر الحجاج المغاربة بها حيث نقلوا آثارها لبلادهم فقام فيهم مصلحون مجددون.

---

(١) انظر كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج٣ ص٢٦٩ ـ ٢٨٢ آخر حوادث صفر سنة ١٢١٨ه.

(٢) انظر عجائب الآثار للجبرتي ج٤ ص٢٧٦ ـ ٢٧٧ وفيه تفاصيل أكثر مما أوردنا.

(٣) انظر تاريخ أفريقيا الشمالية ج٢ ص٢٢٠.

خامسًا: والهولنديون حركهم ما لمسوه من اهتمام جديد من المسلمين الذين استولوا على ديارهم ويظهر ذلك واضحًا بالحرص على الولاء لعقيدة الإسلام في جزر سومطرة وجاوة، وسولو بأندونوسيا مما وفد لتلك الديار مع الحجاج المتأثرين بما يجب أن ينقي به المجتمع الإسلامي، وتصفى من شوائبه شعائر الإسلام، بعد أن درس هؤلاء الحجاج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية التجديدية واهتموا بها بعد أن اطمأنوا إلى سلامة منهجها في إصلاح العقيدة، المستمد من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله الكريم، ولما فيها من صفاء الدعوة، وسلامة الاتجاه، والبعد عن الهوى، وأنها لم تأت لمآرب ذاتية.

فلذا نقلوا ذلك بقناعة لبلادهم، حيث قامت دعوات متعددة مثل: الجمعية المحمدية في جاكرتا، التي بدأت الدعوة بنبذ الشوائب والخرافات التي أدخلت على تعاليم الإسلام، مما وقف حائلا دون اتساع دعوة المستعمرين في تبني فئات إسلامية، أو محسوبة على الإسلام تشجع الخرافة، وتنمي البدع في المجتمع الإسلامي، مما يستفيد منه المستعمر بتغذية الطائفية، وتذكية الفتن على مبدأ الاستعمار: فرق تسد.

ولقد بدأ هذا التأثر من عام ١٨٠٣م، الموافق لعام ١٢١٨هـ، عندما قامت حركة ضد الهولنديين استمرت ١٦ عامًا، تغلبت فيها قوى الاستعمار على السلفيين الموحدين المتأثرين بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(١).

هذا إلى جانب دول إسلامية عديدة انتقلت إليهم آثار الدعوة مع الحجاج الذين أعجبوا بها لما فيها من تخليص الإسلام من الشوائب التي أدخلت عليه وتخليص البلاد من المستعمر الجاثم عليها، والحريص على إفساد عقيدة أهلها بما يشيعه من أعمال وما يتيحه من فرص للفساد والإفساد، ولما يدعو إليه المبشرون من رغبة في تحويل المسلمين إلى النصرانية، وما يبثه الملحدون وأصحاب النزعات الأخرى، من دعوة لترد

(١) انظر كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن حجر (ص١٠٦).

المسلمين عن دينهم، ومحاولة لإبعادهم عن صفائه ونقاوته، التي تخاطب العقول المستنيرة.

ولذا كثرت الأصوات المستجيبة في كل مكان كالسودان ومصر والشام واليمن وأفغانستان وجزر الهند الشرقية ونيجريا وبلاد الهوسا وبرنو وبلاد التكرور وغيرها مما ذكره كل من درس حياة الشيخ وأثرها في بلاد الإسلام، لأنها أيقظت الهمم، وحركت الناس من سباتهم، وأوجدت يقظة فكرية، ورغبة واسعة في إصلاح المجتمع الإسلامي بالدين السليم كما قال بذلك الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ. مما زلزل أقدام المستعمرين وحرك مشاعرهم ضد هذه الدعوة، والمعتنقين لمبادئها.

الدولة العثمانية والدعوة

إن تأثر بعض الأوروبيين وبعض الأتراك وجماعات من الأفارقة، إلى جانب اهتمام مجموعة من المفكرين المسلمين بدعوة الشيخ في بلاد الشام والمغرب وحتى داخل تركيا، وغيرها، كل هذا أثار حفيظة الباب العالي، وأرباب المصالح والمناصب، الذين موهوا الحقيقة على العثمانيين، واغتنموا بعض التصرفات من الأعراب في الحج، فلبسوا الشبه للتنفير ضد هذه الدعوة، لإثارة الحفائظ على من قام بها، واختلاق أشياء لم يكن لها أساس من الصحة.

وفي رسائل الشيخ محمد وإجابات تلاميذه نتبين الجوانب الإيجابية، والحرص من بعض المسلمين استجلاء حقيقة الدعوة من الشيخ نفسه بإرسال رسائل له أجاب عليها مثل:

١ ـ رسالة الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الشيخ فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام التي جاء فيها: فالسبب في المكاتبة أن راشد بن عربان ذكر لنا عنك كلامًا حسنًا. الخاطر، وذكر عنك أنك طالب مني المكاتبة بسبب ما يجيك عنا من كلام العدوان من الكذب والبهتان، وهذا هو الواجب من مثلك أنه لا يقبل كلامًا إلا إذا تحققه، ثم بدأ يشرح له ما قيل ويوضح الحقيقة في ذلك وفق شرع الله وهدي رسوله الكريم تفنيدًا وشرحًا[١].

---

(١) انظر الرسالة كاملة في الجزء الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشر جامعة الإمام محمد بن سعود للإسلامية الطبعة الأولى ص٣٢ ـ ٣٣.

٢ ـ ورسالة الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ إلى عبد الرحمٰن السويدي عالم من أهل العراق جاء فيها: فقد وصل كتابك وسر الخاطر جعلك الله من أئمة المتقين، ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين وأخبرك أني ولله الحمد متبع ولست بمبتدع عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن اشتراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشرك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة[(١)].

٣ ـ رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي بعث إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام ويوضح لهم عن المعالم المهمة في دعوته، ومما جاء فيها قوله: «جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، فلما كبر هذا على العامة لظنهم أنه تنقيص للصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعواهم، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور، كبر على العامة جدًا، وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب أخر لا تخفى على مثلكم، أعظمها إتباع هوى العوام، مع أسباب أخرى، فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها وأنا أخبركم بما نحن عليه، خبرًا لا أستطيع أن أكذب، بسبب أن مثلكم لا يروج عليه الكذب، على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام، فنحن والله الحمد متبعون غير مبتدعين، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وحتى من البهتان الذي أشاع الأعداء أني أدعي الاجتهاد، ولا أتبع الأئمة، فإن بان

(١) انظر الرسالة كاملة في الجزء الخامس من مؤلفات الشيخ محمد نشر جامعة الإمام بالرياض ص٣٦ ـ ٣٨ وانظر الدرر السنية ج١ ص٥٤ ـ ٥٦.

لكم أن هدم البناء على القبور، والأمر بترك دعوة الصالحين لما أظهرناه، يخالف مذهب سلف الأمة».

إلى أن قال: «وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم على دين الله ورسوله أني متبع لأهل العلم، وما غاب عني من الحق وأخطأت فيه فبينوا لي، وأنا أشهد الله أني أقبل على الرأس والعين، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل»(١).

٤ ـ ورسالته أيضًا إلى عالم من أهل المدينة وفيها يقول: «الخط وصل أوصلك الله إلى رضوانه، وسر الخاطر حيث أخبر بطيبكم فإن سألت عنا فالحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، وإن سألت عن سبب الاختلاف الذي هو بيننا وبين الناس، فما اختلفنا في شيء من شرائع الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك، ولا في شيء من المحرمات، الشيء الذي عندنا زين، هو عند الناس زين»(٢).

وغير ذلك من الرسائل، حيث تخوفت منها الدولة العثمانية بقياداتها في العالم الإسلامي نتيجة الجهل، وتعاونوا مع المستعمر من أجل مصالحهم من جهة، ومن أجل ضرب المسلمين بعضهم ببعض، لتحقيق المآرب بإضعاف قوة المسلمين، والقضاء على دعوة الإصلاح التي تؤلف بين القلوب، وتجمع الشمل وتقضي على أسباب الفرقة، باتباع ما جاء به الرسول محمد ﷺ من عند ربه وما ذلك إلا من جهل هذه القيادات، بما تنص عليه تعاليم الإسلام، وخوفهم على مراكزهم ومصالحهم، التي قدموها على حكم الله، وأوامر رسوله ﷺ باتباع الأهواء والرغبات.

وبذلك يخرج العدو المستعمر هو الكاسب من جانب، ومن جانب آخر فلأن المسلم لا يقبل ذلك المستعمر المخالف له في دينه، أن يتدخل

---

(١) انظر المرجع السابق ص٤٠ ـ ٤٢.

(٢) انظر المرجع السابق ص٤٤ ـ ٤٩ وفيها شرح كامل لمعتقد أهل السنة والجماعة.

فيما يتعلق بعقيدته، وإلا انكشفت النوايا وعادت الحروب الصليبية من جديد.

ولذا فإن هؤلاء الغربيين، ولا يستبعد أن يكون من بينهم يهود يهمهم ضرب الإسلام كما هي مخططاتهم وأعمالهم منذ حل رسول الله ﷺ في المدينة مهاجرًا، والدارس يلمس مثل هذا الشعور لدى عبد الله بن أبي رأس المنافقين في المدينة وعبد الله ابن سبأ اليهودي الذي دخل الإسلام ليفسده من داخله، وليشكك ضعاف الفهم للإسلام في مكانته، فكان أول من أنشأ فرقة فيه عرفت باسم السبابة.

كما نلمس هذا في دراسات المستشرقين الذين حاولوا تشويه صورة الإسلام في العصر الحديث للتنفير منه والدس في فكره وتأريخه، وغالبيتهم من اليهود.

فقد بدأ هؤلاء جميعًا يقلبون صفحات التاريخ، وينبشون الماضي، علهم يجدون أشياء ترضي أصحاب الأهواء من أدعياء العلم الذين نصبهم المستعمر في مقامات إسلامية يستتر خلفهم، ويزينون له ما يريد، وأصحاب المصالح الذين باعوا أخراهم بعرض من الدنيا، فهؤلاء جميعًا ينشدون غرضًا، ويريدون تحقيق غاية.

فأوهموا العامة وأنصاف المتعلمين الذين لا يقرؤون ولا يتعمقون، وهم الغالبية العظمى في المجتمع الإسلامي ذلك الوقت، بأن هذه الدعوة الجديدة التي تحركت في الجزيرة العربية ما هي إلا امتداد لتلك السابقة التي كانت في المغرب: فرقة الخوارج الإباضية التي تخالفكم معاشر المسلمين في المذهب والمعتقد.

ولكي تنطلي الحجة، ويمر التمويه لفقوا أقاويل على الشيخ محمد وأتباعه، أوضح رحمه الله، كذبها في رسائله العديدة، وعرف هذا علماء المغرب في حوارهم عام ١٢٢٦هـ، عندما حج المولى أبو إسحاق إبراهيم ابن السلطان المولى سليمان رحمه الله، ومعه مجموعة كبيرة من علماء

المغرب لحوار الإمام سعود بن عبد العزيز ومناقشته فيما نسب إليهم، وكان هذا بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بزمن.

وقد سجلت تواريخ المغرب عن هذه الحادثة ما يثبت البراءة لهذه الدعوة السلفية من كل ما نسب إليها وقناعة علماء المغرب من سلامتها وصدقها، حتى إن الإمام إبراهيم هذا اقتنع بها(١).

وقد وجد هذا القول ـ أعني القدح في هذه الدعوة ـ صدى في نفوس راغبي الزعامة والتسلط باسم العلم والمعرفة، ولدى أصحاب الأهواء والمصالح الظاهرة أيضًا.

هذا من جانب ومن جانب آخر انطلت النسبة إلى عبد الوهاب ـ والد الشيخ محمد وهي نسبة غير صحيحة، لأنه لم يكن هو صاحب الدعوة. ولأنهم لو نسبوها للشيخ محمد لصارت محمدية، ولا يتحقق لهم ما أرادوا؛ لأن الدين الإسلامي كله يسمى «الرسالة المحمدية»، نسبة إلى النبي محمد ﷺ، الذي بلغها عن ربه.

والعامة لا تفرق بين هذا وذاك، ولذا حرصوا أن يكون للاسم المراد إطلاقه صدى في نفوس الجماهير الذين هم قاعدتهم في التمويه والتلبيس، وخلفية يموه بها على أنصاف المتعلمين.

ظهر مثل هذا القول في تقارير وخطابات إبراهيم باشا التي كان يبعث بها لمحمد علي بمصر، وفي كتابات لبعض العثمانيين، حيث بدأ إطلاق الألقاب التالية: **الوهابية، الخوارج**، المارقين من الدين(٢) على دعوة الشيخ محمد والدولة السعودية من ذلك التاريخ.

---

(١) راجع سيرة المولى أبي إسحاق بن سليمان في تواريخ المغرب مثلًا: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج٨ ص١٢٠ ـ ١٢٥ للناصري. والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ج١٠ ص٦٨ ـ ٧٣.

(٢) راجع مثل هذه الوثائق: رسالة محمد علي يعتذر للأتراك فيها عن القيام بحرب ابن سعود ص٣٥٣ ـ ٣٥٥. ورسالة يوسف كبخ الخاصة بحرب آل سعود ص٣٦٢ ـ ٣٧٠، وأمر تعيين يوسف ضبا باشا قائدًا عامًا للعساكر بالحجاز ص٣٨٢ ـ ٣٨٢، =

هؤلاء في مظهر عام اتفقوا جميعًا في اتجاه واحد للتلبيس على الناس في هذا الأمر، والناس بطبيعتهم يتخوفون من كل جديد، ويستنكرون ما جاء لمخالفة ما ساروا عليه. وخير شاهد في هذا ما نجده موضحًا في القرآن الكريم، والسيرة النبوية العطرة من أمور كثيرة في موقف المعاندين للإسلام عندما جاء به محمد ﷺ من عند ربه داعيًا ومنقذًا.

كما نلمس شاهدًا حيًا في عصرنا الحاضر، عندما بدأ الشباب الإسلامي يهتم بدينه ويرجع لتعاليم ربه، فيها أطلق عليه: الصحوة الإسلامية فقد بدأت صحف الغرب والشرق ووسائل إعلامه وجهود مفكريه، تشوه الصورة، وتنفر من الاتجاه وتصف هذا التحول الإسلامي بنعوت متعددة لكي يوجد حجاب يمنع المسيرة، ويقضي على الحماسة.

والعامة في كل عصر ومكان، وهم الجم الغفير، يلجأون في مثل هذا الأمر إلى مصدر القوة لتوضح لهم الأمر، وتجلى الحقيقة، لكن هذا المصدر في ذلك الوقت من علماء وأرباب مصالح أرادوا قلب الحقائق، وتشويه أصوات المستجيبين العارفين، وذلك بإطلاق الشبهة، واختلاق الآراء، التي تلقفها العامة بالنشر والإذاعة، من جانب، ومن جانب آخر بالاستجابة للنداء بالوقوف ضد هذا الاتجاه، الذي سموه للناس انشقاقًا في الدين، وخروجًا على جماعة المسلمين، وبدعًا أدخلت في الدين بينما واقع الأمر عكس ذلك.

وقد وجدت هذه الشبهة التي أطلقت، صدى في نفوس أرباب المصالح والجاه، لدى الباب العالي العثماني خوفًا على سمعة ومكانة الدولة ونفوذها بعد أن أثاروا حفيظة والدة أحد سلاطينهم على الإمام

= والملحق رقم٧ ص٣٨٣ ـ ٣٨٤. ورسالة إبراهيم باشا بعد حرب شقراء والتبشير بفتحها ص٤٢٢ ـ ٤٤٤ وغير ذلك كثير. انظر كتاب الدولة السعودية للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمٰن عبد الرحيم في هذا وهو من مطبوعات جامعة الدول العربية ص٣٤٩ ـ ٤٤٠.

عبد الله بن سعود، بعد انتصاره على جيوشهم في وادي الصفراء بين المدينة وينبع.

وفي كثير من أقطار المسلمين بالتبعية، حيث روجها أناس يأكلون أموال الناس بالباطل، ويرضون بزعامات مؤقتة دينية، ويتسلطون بها على الجهال الذين لا يدركون حقيقة دينهم، ولا نوايا هؤلاء وما هم عليه، وهذا ما كان يخشاه رسول الله ﷺ له من زلة العالم، والعلماء المضللين الذين يفتون بغير ما أنزل الله فيضلون ويضلون[١].

وقد ضرب هؤلاء جميعًا على الوتر الحساس في حياة الناس وهو

(١) من حديث رواه البخاري في العلم عن ابن أبي أويس عن مالك عن هشام و رواه مسلم في القدر عن قتيبة عن جرير وعن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد وعن يحيى بن يحيى عن عباد بن عباد وأبي معاوية وعن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب كلاهما عن وكيع وعن أبي كريب عن أبي عبد الله بن إدريس وأبي أسامة وعبد الله بن نمير وعبدة بن سليمان وعن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة وعن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد وعن أبي بكر بن نافع عن عمر بن علي المديني وعن عبد بن حميد عن زيد بن هارون عن شعبة الثلاثة عشر كلهم عن هشام، والترمذي عن عائشة وعروة، قال العراقي :أخرجه الستة خلا أبا داود من رواية عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه ولفظهم إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا لفظ مسلم وقال البخاري من العباد بدل من الناس وقال حتى إذا لم يبق وفي رواية له إن الله لا ينتزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون وفي لفظ لمسلم إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً ولكن يقبض العلماء فينتزع العلم معهم ويبقى في الناس رؤساء جهالاً يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون وفي رواية لعبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة إن الله لا ينتزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم فيضلوا ويضلوا رواه النسائي اهـ، ورواه الإمام أحمد في مسنده وسياقه كسياق البخاري وزاد الترمذي حسن صحيح.

الدين الذي تحتاجه النفوس وتتشوق إليه الأفئدة، ولكنها تجهله حقيقة، وتجهل المصادر التي يجب أن يؤخذ منها، فتتبع كل ما يقال لها فيه.

ومن ومن هذه الجذور بدأوا في التعاون لتشويه الدعوة، التي كان أهدافها توحيد كلمة المسلمين، ونبذ الخرافات، وتنوير الأذهان، وتوجيه النفوس إلى العلم، باعتباره مصدر الحقيقة، حيث بلغ الأمر بالناس في الدرعية، كما ذكر ابن غنام وابن بشر في تاريخهما رغبة عارمة في النهل من العلم، ثم العمل المتواصل لكسب المعيشة فكان تلاميذ الشيخ يوزعون أوقاتهم بين العلم والعمل.

من بعد صلاة الفجر حتى ارتفاع الشمس للعلم، ثم يتجهون لأعمالهم وفلايحهم حتى الظهر ليرتاحوا ويواصلوا العمل من العصر حتى المغرب، وبعد المغرب إلى العشاء جلسات علم واهتمام بالبحث عن المعرفة في الحلقات والنقاش.

شبهات الخصوم

وهذا مما دفع أيضًا بعض الأشخاص، ممن تعارضت مصلحته الدنيوية مع دعوة الشيخ إلى مخالفة الشيخ ومحاولة التشهير به كذبًا وافتراء، وأغلبهم من بني قومه، فالصقوا بالشيخ ودعوته أشياء كثيرة طفق جاهدًا في رسائله العديدة إلى التبرئ منها، والدفاع عن سلامة المعتقد الذي ينادي به وأنه لم يخرج عن الكتاب والسنة، وسوف يكون لنا مع بعض أولئك وقفة خاطفة، ترشد طالب الحقيقة إلى بعض مواطن الداء.

وإن من يقرأ ما كتبه خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنها من افتراءات وأكاذيب، فإنه لا شك سيلمس أن جميع ما أورده من شبهات، وما اختلقوه من مجادلات، لا أصل لها في أي مصنف مما كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل إن رسائله العديدة التي ملأت سفرًا كاملًا، ورسائل وردود أولاده وأحفاده وتلاميذه من بعده وهي كثيرة وعديدة: كلها كانت تنفي تلك الأقاويل، وتتبرأ منها بأيمان صادقة، ومثل هذه: الرسائل والردود التي يجدها المتتبع المسيرة هذه الدعوة، والمنافحين عنها النافين للشبهات المطروحة من دون أصل ثابت، منذ اقترانه بالعمل الجهادي السياسي وحتى اليوم.

إننا عندما نعود إلى أصل تلك الشبهات فإننا سنراها لا تخرج عن:

١ ـ شبهات ذات جذور في الفرق السابقة ألصقوها بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، مع أن له رأيًا فيها هو رأي أهل السنة والجماعة، حيث

ينكر خروجها عن الصف الإسلامي، كما أنكرها قبله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشام، والإمام الشاطبي في المغرب، والعز بن عبد السلام في مصر سنة ٦٦٠هـ.

٢ ـ وإما أشياء مختلقة، لا أساس لها من الصحة، ولم ترد في أصل مما نقل عن نصوص ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا في مؤلفات تلاميذه وأبنائه.

والمختلق لا حدود له، وفيه تمويه على القارئ والسامع، فقد أبانت رسائل الشيخ ضد هذا الشيء الكثير، كما مر بنا في مقتطفات من أربع رسائل بعثها للآفاق[(١)] البراءة من كل ما نسب إليه، وأنه محض افتراء لا أصل له عنده قولًا أو عقيدة، خذ مثلًا قوله في إحدى رسائله لأهل القصيم وقد جاء فيها:

ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم[(٢)] قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم والله يعلم أن الرجل افترى علي أمورًا لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي.

فمنها قوله: أني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وأني أدعي الاجتهاد، وأني خارج عن التقليد، وأني أقول إن اختلاف العلماء نقمة، وأني أكفر من يتوسل بالصالحين، وأني أكفر البوصيري[(٣)] لقوله:

(١) انظر ص٧٥ ـ ٧٧ من هذا الكتاب وأصول هذه الرسائل في الهوامش.

(٢) واحد من أهل الرياض ناوأ الدعوة وخاصمها وصار يكتب في الآفاق يختلق ما لم يقله الشيخ.

(٣) شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصِّنْهاجي البُوصيري المصري. نسبته إلى بُوصير من أعمال بني سويف بمصر، فأمه منها، وأصله من المغرب. ولد سنة ٦٠٨هـ. عاش في بُلْبَيْس، وكان خطاطًا ماهرًا. تتلمذ على أبي العباس المرسي الصوفي. توفي بالإسكندرية سنة ٦٩٦هـ. أشهر شعره البردة المسماة «الكواكب الدرية في مدح خير البرية». ينظر: فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، (٢٠٥/٢)، والوافي بالوفيات، للصفدي، (١٠٥/٣ ـ ١١٣).

* يـــا أكـــرم الـــخـــلـــق *

وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ هدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت له ميزابًا من خشب، وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وإني أكفر من حلف بغير الله، وإني أكفر ابن الفارض(١) وابن عربي(٢)، وإني أحرق «دلائل الخيرات» و«روض الرياحين» وأسميه «روض الشياطين»، جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، وقبله من بهت محمدًا ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم، ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور(٣).

---

(١) شاعر الصوفية وسلطان العاشقين شرف الدين أبو حفص عمر بن علي بن مرشد المصري الشافعي. المعروف بـ"ابن الفارض» والفارض وظيفة أبيه. ولد سنة ٥٧٦هـ. اشتغل أولاً بالعلم، فأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره. ثم تزهد وتجرد واعتزل، وجعل يأوي إلى المساجد والأماكن المهجورة وينظم شعره. جاور بمكة، ثم عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عامًا، واشتهر أمره، حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته. اختلف العلماء في شأنه من الكفر إلى القطبانية. قال الذهبي في الميزان: «ينعق بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة، فتدبر نظمه ولا تستعجل، ولكنك حسنُ الظن بالصوفية. وما ثم إلا زي الصوفية وإشارات مجملة، وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعي. فقد نصحتك، والله الموعد». ونقل الحافظ ابن حجر تكفير شيخه السراج البُلْقيني لابن الفارض. توفي سنة ٦٣٢هـ، ودفن بجبل المقطم. ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، (٧٦/١٤، ٧٧)، وميزان الاعتدال، للذهبي أيضًا، (٢٦٦/٢)، ولسان الميزان، لابن حجر، (٣١٧/٤).

(٢) محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي. صوفي حلولي اتحادي. ولد في مُرْسية سنة ٥٦٠هـ. وانتقل إلى إشبيلية. وقام برحلة إلى المشرق والروم. وأنكر عليه أهل مصر شطحات صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، لكنه نجا. استقر في دمشق، وتوفي فيها سنة ٦٣٨هـ. اختلف حوله العلماء ما بين قادح ومادح. له نحو أربعمائة كتاب؛ منها: الفتوحات المكية، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، وفصوص الحكم، وعنقاء مغرب، وفتح الذخائر والأغلاق شرح ترجمان الأشواق. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٤٨/٢٣)، وميزان الاعتدال، للذهبي أيضًا، (١٠٨/٣)، ولسان الميزان، لابن حجر، (٣١١/٥).

(٣) راجع هذه الرسالة كاملة في ج٥ من مؤلفات الشيخ قسم الرسائل الشخصية ص٨ ـ ١٣ وضمن ملحق هذا الكتاب ص ١٨٣ ـ ١٩٣ص.

٣ ـ ويدخل في هاتين الحالتين ظهور عجز من جادلوا أتباع الشيخ وأفحموهم، ومن باب الرغبة في تغطية هذا العجز، بدأوا ينالون من الشيخ ودعوته، وهذا من باب التلبيس على الناس، ذلك أنهم لو قالوا الحقيقة التي دارت في النقاش، لانتهت مكانتهم ومصالحهم، ولذا لم يبق أمامهم إلا قلب الحقيقة، وتمويه النتيجة لأن ما جرى لم ينشر على الملأ.

٤ ـ وإما كلام مبتور من أصل كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو قول مؤول على غير معناه مثل من يقرأ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[1]، ويسكت عن إكمال الآية.

ويدخل في هذا قولهم: إن أتباع محمد بن عبد الوهاب ينكرون الصلاة على النبي، وينكرون رسالته، مما لا يصدقه عاقل متبصر.

ولا أستبعد أن يكون جميع من كتب متهجمًا على الشيخ محمد ودعوته: بأنه لم يقرأ واحدًا من كتبه، سواء في التوحيد والعقيدة، أو الفقه والأحكام، أو التفسير والسيرة النبوية، بل إنه لم يناقش رأيًا مما قال، وإنما حركتهم المصالح الدنيوية، وأعماهم الهوى، حيث وجدوها فرصة عاجلة لأخذ عيوب الوهابية الرستمية، الخارجية الأباضية، التي قال فيها علماء الإسلام ما قالوا، ودار حولها في المغرب نقاش طويل وردود ومجادلات، وتناولها علماء المغرب والأندلس في كتبهم بالردود والقدح كثيرًا، لإلصاق تلك العيوب بالدعوة الجديدة بادئ ذي بدء.

وقد استغل الخصوم قرابة في الاسم، فطابقوا اللقب في الحالين وأطلقوا الأول على الثاني، وأعطوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اصطلاحًا جديدًا، هو اسم الجذور عميقة في نفوس المسلمين في شمال أفريقيا بصفة خاصة وهو «الوهبية أو الوهابية»، فوجدوا هذا ثوبًا جاهزًا ألبسوه دعوة الشيخ محمد للتنفير منها، حيث أبرزوا عيوب السابقة وألصقوها بدعوة الشيخ محمد.

والمغاربة ممن شهد لهم التاريخ بدور إيجابي في الوقوف ضد

(١) الماعون: ٤.

الدعوات المناهضة لأهل السنة: مع عبد الوهاب بن رستم بن رستم هذا، ثم مع الفاطميين العبيديين وغيرهم، ثم بمناهضة المستعمر في بلادهم والوقوف ضد مطامعه.

فألبس أعداء الإسلام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ثوبًا مستعارًا مشوهًا من باب التنفير خوفًا من عودة المسلمين إلى المنهج المحمدي وبساطته واستمالته لقلوب المسلمين، الذين ملوا الفرقة وأضناهم الخلاف، فيكون في ذلك سبب لاتفاق الكلمة، ونبذ الخلافات التي ينفذ منها الأعداء.

لاسيما وأن صدورًا في العالم الإسلامي وخاصة في شمال أفريقيا قد انفتحت لهذه الدعوة واستجاب لها أصحابها لأنها بغية كل مسلم، كما مر بنا نماذج من ذلك.

فأقض ذلك مضاجع أصحاب المصالح، وأرباب الأهواء والبدع، وتعاموا عن الحقيقة حيث بذلوا جهودًا مضنية لطمسها وإلهاء الناس عنها، وعن تتبع مصادرها بحثًا واستقصاء.

ويتضح مثل ذلك في كتابة الباحثين الغربيين والمستشرقين، من فرنسيين وإيطاليين وانجليز وألمان عن الإسلام والمسلمين، في شمال أفريقيا على وجه الخصوص، وفي كل مكان بوجه عام، وخاصة عند تعرضهم لليقظة الفكرية الجديدة في تاريخ الإسلام، التي ترتبط دائمًا ومن الدراسات المنصفة، بقيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته، وامتدادها للعالم الإسلامي، لأنها جاءت في وقت الظلمة والجهل.

ففي الوقت الذي بدأ المسلمون يعون حقيقة الدعوة السلفية التي جددها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأعادت للمسلمين يقظة فكرية عقدية في المنهج الإسلامي الصحيح، والعقيدة الصافية السليمة، لأنها لم تخرج بالإسلام عن نقاوته الأولى، حيث سلك في هذا الدرب منحى المصلحين في تاريخ الإسلام، المجددين لمنهج السلف الصالح كلما اندثر كابن تيمية أحمد بن عبد الحليم المتوفى بالشام عام ٧٢٨هـ، وابن قيم الجوزية

المتوفى بدمشق عام ٧٥١هـ، والشاطبي المتوفى بغرناطة بالأندلس عام ٧٩٠هـ، والعز بن عبد السلام المتوفى بمصر وغيرهم كثير من علماء السلف. كما تحدث عن ذلك كثير من العارفين والمفكرين العرب والمسلمين وغيرهم. وقد أورد الأستاذ عبد الله بن سعد بن رويشد في كتابه «الإمام محمد بن عبد الوهاب في التاريخ» حدود أربعين رأيًا تشيد بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودورها في تحريك اليقظة في نفوس المسلمين في كل مكان من المعمورة[١].

◈ عودة لإثارة الشبهات:

دهمت العالم عامة والمسلمين بصفة خاصة المبادئ المنكرة من شيوعية وماسونية ووجودية وعلمانية وإلحادية وغيرها، ولم يجد المسلمون مخرجًا يضيء لهم الطريق، ومنفذًا يهربون منه إلى بر الأمان، إلا بالإسلام الصافي النقي الخالص من الشوائب والدخائل.

ذلك أن أبناء المسلمين، قد جبلهم الله على حب الولاء، والاتجاه بالعقيدة إلى ما يوصل الله جل وعلا، وهذه فطرة الله التي فطر البشر عليها، وإن جذور الإسلام تجذبهم، ورابطته تجمع بينهم، فتتجاذب القلوب، لتتقارب النفوس، إلا أن جهات ذات أهداف متباينة، وأحقاد دفينة، تأتي مع بعدها العاطفة مع المسلمين، لتستغل ذوي العقول الضعيفة، والمآرب الوقتية، والبضاعة المزجاة من العلم والمعرفة فتتحدث باسم العلم، وتتزعم باسم الغيرة والمعرفة وهذا ما كان يخشاه رسول الله ﷺ على أمته من العلماء المضللين الذين يلبسون الأمور على الناس.

ألمس هذا عندما بدأت كتب تطبع وتوزع بالمجان مجددًا في أفريقيا وآسيا وأوروبا تعيد تلك الشبهات على المسلمين بعد أن كاد المسلمون

(١) انظر كتابه هذا الجزء الثاني من ص٣٠٠ إلى ٣٦٠.

ينسوا الماضي بأحقاده، ويتألفون من جديد، على منهج كتاب الله وسنة نبيه الأمين ﷺ، بعد أن عصفت بهم الفتن، وأعمل الأعداء أيديهم في التخريب والإفساد. وذلك من أجل تنقية الدين من الشوائب الدخيلة، ذلك أن النصرانية الحاقدة، واليهودية الماكرة، قد حركتا الأعوان؛ لأنهما بدأتا تفلسان في ديار الغرب فضلًا عن ديار الإسلام، بعد أن تمرد عليهم أبناؤهم، وشعروا بخواء أفكار أرباب تلك الدعوات.

ثم عندما رأوا أبناء المسلمين يتجهون للإسلام الصحيح في نقاوته، حسبما حدثني أحد الدعاة في أفريقيا، عن حرص الناس هناك وفي كل مكان، على تتبع تعاليم الإسلام من مصادرها الصحيحة النقية.

وكان مما حدثني به هذا الداعية: أن أحد علمائهم مال مع تلك الكتب، التي تطبع في دولة إسلامية، وتوزع بعدة لغات، وقد بدأ هذا الشيخ ينال من شخصية محمد بن عبد الوهاب ودعوته، ويصفها بنعوت عديدة، لتأثره بالكتب التي وصلته، وألصقت بالدعوة الإصلاحية التي انتهجها الشيخ ومن جاء بعده، شبهًا وافتراءات.

فقال له الداعية: هل قرأت للشيخ محمد بن عبد الوهاب شيئًا من كتبه؟ قال: لا ويكفي ما قيل عنه. وكان هذا الداعية ذكيًا، فأعطاه «كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بعد أن نزع عنه غلافه. وقال: أحب أن تقرأ هذا الكتاب وتعطيني رأيك فيه غدًا.

وفي موعد اللقاء: أثنى ذلك العالم على هذا الكتاب، وترحم على مؤلفه، لما حوى من علم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، واتجاه رصين يحتاج إليه المسلمون في تصحيح معتقداتهم.

فما كان منه إلا أن أعطاه نسخة أخرى منه وعليها الغلاف.

وقال له: هذا هو الكتاب كاملًا، ومؤلفه هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الإصلاحية التجديدية السلفية كما ترى، وبقية كتبه من هذا النوع.

فما كان من ذلك العالم إلا أن قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، لقد أتهم الشيخ بما ليس فيه، وما نقرؤه عنه يخالف ما يقوله هو في مؤلفه هذا، إن هذا هو التوحيد الخالص، الذي جاء به محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، ودعانا إلى التمسك به.

ـ ومنذ عشرات السنين حصلت قصة مماثلة في الهند فقد هدى الله عالمًا من علماء الهند بتوفيق من الله، ثم بمناظرة مع شخص يسمى البكري في قضية مماثلة.

هذه نظرة عامة يحسن بالمسلمين عمومًا الانتباه إليها، وألا يجعلوا الآخرين يفرضون عليهم رأيًا بدون معرفة خفاياه، فالرأي العلمي، والحقيقة التي تتعلق بالعقيدة والدين، يحسن بالمسلم العارف أن يبحث عنهما وينقب بنفسه عن كل ما يؤصلهما ويتوثق ويدقق حتى لا تزل قدمه بعد ثبوتها، ويترتب على ذلك خلاف في الصف الإسلامي، لا يستفيد منه سوى العدو الذي يبذل الشيء الكثير من جهده وماله وفكره وأعوانه، لبث الفرقة، وتشتيت الشمل بين أبناء المسلمين؛ لأن مصالحه ومنافعه في هذه الفرقة، وسيطرته ونفوذه في بذر الخلافات.

وندعو الله أن يجمع كلمة المسلمين، وأن يؤلف بين قلوبهم في آخر الزمان، كما ألف بينهم في أوله عندما قال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

واليهود والنصارى لن يرضوا عن المسلمين حتى يفسدوا عليهم دينهم، ويجعلوهم في خلاف مستمر، وتشاحن وتباغض، كما أبان الله الشعور في محكم التنزيل عندما قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ﴾[٢].

(١) سورة الأنفال آية ٦٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٢٠.

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وأولها لم يصلح إلا بعقيدة الإسلام الصافية النقية، وآخرها لن يصلح إلا بذلك.

خصوم الدعوة من داخل المنطقة

جوبهت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أول ما جوبهت من داخل المنطقة التي انطلقت منها، فوقف أمامها أناس ادعوا العلم، وكانت لهم مصالح سوف تتأثر من معرفة الناس للحقيقة التي حرص الشيخ على إبانتها للناس مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والهوى دائمًا يعمي ويصم، كما أن للحسد دورًا في تلك المجابهة، كما يقول الشاعر العربي:

حسدوا الفتى إذ لم يكونوا مثله ... فالقوم أعداء له وخصوم

لقد بلغ من هؤلاء القوم أن انبروا لدعوة الشيخ بالجرح والكذب والافتراء... ثم لخوفهم الذي أقلق راحتهم بدأوا يبثون الرسائل يمينًا وشمالًا من باب التنفير، والكيد. كما حصل من ابن سحيم وابن مويس وغيرهما ممن سوف نلم بذكرهم، والإشارة لانتشار رسائلهم التي كشفها الشيخ محمد نفسه في الرسائل التي يبعث بها للآفاق داعيًا وموضحًا من جهة، ومزيلاً لما علق بالأذان من أكاذيب وافتراءات من جهة أخرى.

ولن ندخل في تلك المنافحات والمراسلات، ولكن يكفي أن نستشهد بالآية الكريمة ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[1].

(١) سورة الرعد آية ١٧.

لقد ذهب القوم جميعًا الناقد والمنقود، والمفتري والمفترى عليه، وأثبتت الأيام صدق إخلاص الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث بقي صدى الدعوة، بل ازداد، وحرص الناس في كل مكان على تتبع كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودراستها، كما عاد كثير من المناوئين إلى رشده بعدما استبان لهم سلامتها، وصدق هدف الداعية؛ لأن الحق أحق أن يتبع، أما أولئك المناوئون فقد ماتت أسماؤهم، ومات معها كل ما قالوه، ولا يكاد الناس يعرفون عن أغلبهم إن لم نقل كلهم إلا من فحوى رسائل الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فالجزاء عند الله جلت قدرته، لأنه هو الذي يعلم السرائر، وما تخفي الصدور.

وقد اعتبر **الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ خصوم الشيخ ثلاثة أقسام:

١ ـ علماء مخرفون يرون الحق باطلًا والباطل حقًا، ويعتقدون أن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها ودعاءها من دون الله والاستغاثة بها وما أشبه ذلك دين وهدى، ويعتقدون أن من أنكر ذلك فقد أبغض الصالحين، وأبغض الأولياء وهو عدو يجب جهاده.

٢ ـ وقسم آخر من المنسوبين للعلم: جهلوا حقيقة هذا الرجل، ولم يعرفوا عنه الحق الذي دعا إليه بل، قلدوا غيرهم، وصدقوا ما قيل فيه من الخرافيين المضللين، وظنوا أنهم على هدى فيما نسبوه إليه من بعض الأولياء والأنبياء، ومن معاداتهم وإنكار كراماتهم، فدموا الشيخ، وعابوا دعوته ونفروا عنه.

٣ ـ وقسم آخر: خافوا على المناصب والمراتب، فعادوه لئلا تمتد أيدي أنصار الدعوة الإسلامية إليهم فتنزلهم عن مراكزهم، وتستولي على بلادهم[(١)].

(١) انظر الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته للشيخ ابن باز ص٢٧ ـ ٢٨.

ومن أبرز خصوم الدعوة الذين صاروا يكاتبون الآفاق، ويفترون على الشيخ أشياء لم يقلها، ثم لما ضاق بهم المكان، وعرف الناس حقيقة دعوة الشيخ محمد واتبعوها لأنها دين الله الخالص، لم يسعهم إلا مغادرة الديار إلى أماكن أخرى ليواصلوا عملهم، ويجدوا لهم ميدانًا أرحب يصولون ويجولون فيه، فموهوا على كثير من المسلمين، وأغتر بهم بعض العلماء هناك من دون روية أو تبصر.

ونذكر من أولئك بعض الأسماء باختصار:

١ ـ سليمان بن محمد بن سحيم الذي جاء ذكره في كثير من رسائل الشيخ بأنه يكتب للأمصار في النيل من الشيخ ومهاجمة دعوته، حيث يصور للناس برسائله أشياء لم تقع من الشيخ، وليس لها أصل، كان من علماء الرياض وبعد سقوط الرياض في يد الدولة السعودية الأولى غادر للأحساء ثم الزبير بالعراق وقد توفى هناك وفيها أولاده عام ١١٨١هـ[(١)].

كما روي هذا العداء للدعوة من آل سحيم لعدة رجال وكلهم بيت علم ذلك الوقت في مدينة المجمعة وفي الرياض، ولعل السر في هذا من حسد العلماء وغيرتهم؛ لأن الشيطان حريص بدخول المنافذ على الإنسان مهما كانت.

٢ ـ محمد بن عبد الله بن فيروز النجدي أصلًا الأحسائي مولدًا[(٢)]، كان من العلماء الأعلام وقد اهتم به والي البصرة العثماني عبد الله أغا لما

(١) انظر ترجمته عند ابن بسام في علماء نجد خلال ستة قرون ج١ ص٣٢٢ وتاريخ ابن غنام.

(٢) العلامة الفقيه محمد بن عبد الله بن محمد بن فيروز التميمي الأحسائي الحنبلي. من كبار الحنابلة المتأخرين. ولد في الأحساء سنة ١١٤٢هـ/١٧٢٩م. كُف بصره في الثالثة من عمره. كثر تلاميذه ومريدوه، ورجل الطلاب إليه. انتقد دعوة الشيخ محمد بن الوهاب، فلما عظم أمرها رحل إلى البصرة، فتوفي فيها سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م عن خمس وسبعين سنة. ينظر: مختصر طبقات الحنابلة، للشطي، (ص١٦١)، والسحب الوابلة، لابن حُميد النجدي ، (٣/٩٦٩).

انتقل إليها وسكنها وبقي بها حتى آخر حياته عام ١٢١٦هـ، حيث دفن بالزبير، وقد خرج من الأحساء عندما أوشكت جيوش آل سعود أن تدخلها؛ لأنه ناوأ الدعوة منذ بدايتها، فوجد عند الوالي ما يعينه على تحريض السلطان العثماني بالقضاء على الدعوة وقمعها[(١)] وقد أيده في هذا المسلك بعض تلاميذه ما عدا: محمد بن رشيد العفالقي الذي هاجر للمدينة، فلما دخلها الإمام سعود بن عبد العزيز أكرمه كعادته في إكرام العلماء وجعله على قضاء المدينة فأحب الدعوة السلفية وكان من دعاتها، وظهرت جهوده في مصر بعد أن سكنها فأحبه الناس هناك وله دور كبير في تعريف الناس بالسلفية وتوفى بالقاهرة سنة ١٢٥٧هـ[(٢)].

٣ ـ محمد بن عبد الرحمٰن بن عفالق[(٣)]، له مكانة علمية في الأحساء، يرتاده طلاب العلم، وقد توفى بالأحساء سنة **١١٦٣**هـ، وقد أدرك أول دعوة الشيخ محمد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فعاداها وكتب إلى الشيخ رسالة يتحداه فيها بأن يبين له ما تحتوي عليه سورة العاديات من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من العلوم البلاغية، حيث صح في اعتقاده أن استحضار النكت البلاغية والاصطلاحات البيانية هي الوسيلة الوحيدة إلى تحقيق ما يجب الله تعالى على عباده من معرفته ومعرفة توحيده وإخلاص العبادة له، كما قال الشيخ عبد الله بن بسام[(٤)]

---

(١) انظر ترجمته في علماء نجد لابن بسام ج٣ ص٨٨٢ ـ ٨٨٦، ورسالته في محاربة الدعوة في تاريخ ابن غنام وابن بشر.

(٢) انظر مشاهير علماء نجد لعبد الرحمٰن آل الشيخ ص٢٢٨ ويسميه أحمد.

(٣) الفقيه محمد بن عبد الرحمٰن بن حسين بن محمد بن عفالق الأحسائي الحنبلي. ولد في الأحساء وبها نشأ، تبحر في الفقه والأصول والعربية. عالم عامل محقق. وهو شيخ محمد بن فيروز. وتوفي في الأحساء سنة ١١٦٤هـ/١٧٥٠م. ينظر: السحب الوابلة، لابن حُميد النجدي ، (٣/٩٢٧).

(٤) العلامة المؤرخ أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن صالح البسام التميمي الحنبلي. ولد في عنيزة في القصيم سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م في بيت علم ودين. من =

عند ترجمته لحياته[(١)].

٤ ـ عبد الله بن عيسى المويسي قاضي حرمة، الذي جاء ذكره في رسائل الشيخ كثيرًا، فأخذ الشيخ محمد يحذر الناس منه. ويبين أعماله، وقد توفي ببلده عام ١١٧٥هـ[(٢)] وذلك قبل انتشار الدعوة أو اتساع دائرتها في الجزيرة العربية.

٥ ـ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور الذي درس في العراق ومن أشهر مشايخه داود بن جرجيس[(٣)]، ومحمد بن سلوم الفرضي، وهما من أشد خصوم الدعوة، وبين ابن جرجيس وعلماء نجد ردود ومنافرات حول هذه الدعوة، قال ابن بسام في ترجمته: والمترجم له متردد في اتجاهه العقدي فمرة يوالي الدعوة السلفية، وينتسب إليها، وأخرى يبتعد عنها ويوالي أعداءها، ولذا فإنه لما وصل نجدًا داود بن جرجيس الذي أخذ يقرر استحباب التوسل بالصالحين من الأموات والاستعانة بهم ونحو ذلك مما

= تلامذة الشيخ عبد الرحمٰن السعدي، وكان زميلاً للشيخ ابن عثيمين. عمل بالقضاء، ومدرسًا وإمامًا في المسجد الحرام. كان عضوًا في مجلس هيئة كبار العلماء، وعضوًا في رابطة العالم الإسلامي، وعضوًا في المجمع الفقهي الإسلامي. توفي في مكة المكرمة سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. من كتبه: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون. ينظر: من أعلام عنيزة... الشيخ عبدالله البسام، جريدة الرياض، الاثنين ٥ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ، ١١ يوليو ٢٠٠٥م، العدد (١٣٥٣١).

(١) انظر علماء نجد خلال ستة قرون ج٣ ص٨٢٠.

(٢) نفس المصدر ج٢ ص٦٠٤.

(٣) داود بن سليمان بن جَرْجِيس البغدادي النقشبندي الخالدي الشافعي. مولده ووفاته ببغداد. ولد سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م. قام برحلات إلى الحجاز والشام وأقام بمكة نحو ١٠ سنوات. توفي سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م. من كتبه: أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد. رد به على حنابلة نجد فيما نُسب إليهم من دعوى الاجتهاد. ورد عليه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بكتاب سماه «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جَرْجِيس». ومن كتبه أيضًا: صلح الإخوان من أهل الايمان وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم، ينظر: حلية البشر، لعبد الرزاق البيطار، (١/٦١٠)، وهدية العارفين، لإسماعيل البغدادي، (١/٣٦٣).

يخالف صافي العقيدة ناصره، وصار يثني عليه. ويمدح طريقته، وقرظ كتابه وأثنى على نهجه بقصيدة بلغت ستة وثلاثين بيتًا، وقد رد عليه بقصائد مماثلة بالوزن والقافية أكثر من سبعة علماء من نجد(١).

٦ ـ محمد بن عبد الله بن حُميد(٢) المولود في عنيزة سنة ١٢٣٢هـ، ومفتي الحنابلة في مكة إلى أن توفى بالطائف سنة ١٢٩٥هـ، ذكر ابن بسام في ترجمته لحياته قائلًا: إن المترجم له بحكم وظيفته تبع الدولة العثمانية ـ مفتي الحنابلة بالحرم المكي ـ التي حاربت العقيدة السلفية وبحكم وجود المترجم له بعد النكبة التي أصابت الدعوة السلفية في بلادها فقضت عليها، وكثرت أعداءها والموالين لأضدادها وبحكم قراءته خارج نجد على علماء نذروا أنفسهم لمحاربة هذه الدعوة فإن هذه المؤثرات طبعته بطابعها الخاص، وجعلت منه خصمًا لها وحليفًا لأعدائها(٣).

٧ ـ مِرْبَد بن أحمد التميمي(٤) الذي ناوأ الدعوة ثم سافر إلى اليمن سنة ١١٧٠هـ، وبدأ يبث التشويه لسمعة الدعوة ودعاتها والقائمين عليها وبقي هناك حوالي عشرة أشهر وفارقهم إلى الحجاز مع الحجاج.

وقد قال عنه ابن بسام عند ترجمته: والقصد أن هذا الرجل وأمثاله

---

(١) انظر متابه علماء نجد في ستة قرون ج٣ ص٦٩٦.

(٢) مفتي الحنابلة بمكة المؤرخ محمد بن عبد الله بن حُميد العامري العنزي النجدي الحنبلي. ولد في عنيزة بالقصيم سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م. وسافر إلى مكة واليمن والشام والعراق ومصر. توفي بالطائف سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م. من كتبه: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، والنعت الأكمل بتراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، وحاشية على شرح المنتهى، وملخص بغية الوعاة. وينظر: فهرس الفهارس، للكتاني، (٣٩٢/١)، والأعلام، للزركلي، (٢٤٣/٦).

(٣) انظر علماء نجد في ستة قرون ج٣ ص٨٦٥ ـ ٨٦٦. وانظر مخطوطة ابن حميد (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة) حيث ضرب صفحًا عن علماء الدعوة وناصر خصومها.

(٤) القاضي مِرْبَد بن أحمد بن عمر التميمي النجدي الحريملي الحنبلي. من فقهاء نجد المتأخرين، وكان بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب خلافات. قتله أمير رغبة علي الجريسي سنة ١١٧١هـ. ينظر: عنوان المجد، لابن بشر، (٤١/١).

ممن ناوأوا الدعوة الإصلاحية، هم الذين شوهوا سمعتها وألصقوا بها الأكاذيب وزوروا عليها الدعاية الباطلة، حتى اغتر بهم من لا يعرف حقيقتها ولا يخبر حالها، فرميت بالعداء عن قوس واحد، إما من الحاسدين الحاقدين وإما من المغرورين المخدوعين وإما من أعداء الإصلاح والدين، حتى غزتها الجيوش العثمانية في عقر دارها فأوقفت سيرها، وشلت نشاطها بالقضاء على دعاتها، وإبادة القائمين عليها من ملوك الحكومة السعودية الأولى، ورجال العلم من أبناء الشيخ محمد وأحفاده، حتى إذا شاء الله تعالى انبعاثها مرة أخرى، هيأ الله لها البطل المغوار الإمام تركي بن عبد الله(١)، الذي قاوم الجيوش التركية حتى طهر البلاد منها(٢) ولا تزال بحمد الله في طريق آمن وممهد، ومن أثرها الأمن الذي تنعم به البلاد في ظل تطبيق الشريعة الإسلامية السمحة.

وقال في نهاية ترجمته: إنه عاد من الحجاز إلى بلده حريملاء، ولكن الإمام محمد بن سعود تغلب عليها فهرب منها، فلما وصل بلدة رغبة أمسكه أميرها علي الجريسي وقتله وذلك في عام ١١٧١هـ(٣).

٨ ـ وهناك علماء آخرون لم يعرف عنهم التحدي للدعوة، لكنهم يميلون مع خصومها في البلاد التي انتقلوا إليها أمثال: محمد بن علي بن سلوم الفرضي الذي انتقل من سدير إلى الزبير بالعراق متعاطفًا مع شيخه

(١) الإمام البطل تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود النجدي. ولي الإمارة بعد مقتل ابن عمه مشاري بن سعود على قتله الترك بمكيدة من أحد آل معمر. فخرج إلى ابن معمر فقتله بابن عمه، وتولى الحكم مكانه. واستطاع طرد العثمانيين ومن معهم من المصريين عن بلاده، واسترد الأحساء والقطيف، وصالحه أمير حائل، وانبسط نفوذه في القصيم. واستمر إلى أن اغتاله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمٰن بن سعود ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، وهو ابن أخته أيضًا. وكانت تلك الجريمة سببا قويًّا في قيام حكم آل رشيد. ينظر: صقر الجزيرة، لأحمد عبد الغفور عطار، (٨٥/١)، وحلية البشر، لعبد الرزاق البيطار، (٤٢٤/١، ٤٢٥).

(٢) انظر كتابه علماء نجد في ستة قرون ج٣ ص٩٤٩.

(٣) نفس المصدر ص٩٥٠.

محمد بن فيروز، حيث توفى بالعراق هو وابناه عبد الرزاق وعبد اللطيف اللذان أصبحا من أعلام علماء سوق الشيوخ والبصرة في وقتها.

وإبراهيم بن يوسف الذي تعلم في دمشق وسكنها، وكان له حلقة علم في الجامع الأموي وقتل في ظروف غامضة هناك عام ١١٨٧هـ.

وراشد بن خنين الذي انتقل من الخرج إلى الأحساء ومات هناك بغير عقب(١).

وغيرهم ممن جاء ذكرهم في رسائل الشيخ كابن إسماعيل وابن ربيعة، وابن مطلق وابن عبد اللطيف، وصالح بن عبد الله وغيرهم، وقد بلغ ما جمع من رسائله التي توضح دعوته رَحِمَهُ اللَّهُ والرد على ما قيل نحوها من افتراءات واحد وخمسون رسالة، طبعت في٣٢٣ صفحة ضمن مجلد واحد، وهي ذات فائدة كبيرة لمن يريد التحقق عن كثب عن كنه الشيخ ودعوته.

ولا ريب أن كثيرًا ممن ناوأها عندما استبانت له الحقيقة رجع عن رأيه السابق؛ لأن الحق أحق أن يتبع.

(١) في تراجم هؤلاء انظر السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد وعلماء نجد في ستة قرون لابن بسام، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان القاضي.

الهدف من التسمية

لئن كان مسعود الندوي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في كتابه «محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» قد قال: إن من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام تسميتها بالوهابية، ولكن أصحاب المطامع حاولوا من هذه التسمية أن يثبتوا أنها دين خارج عن الإسلام، واتحد الإنجليز والأتراك والمصريون فجعلوها شبحًا مخيفًا، بحيث كلما قامت أي حركة إسلامية في العالم الإسلامي في القرنين الماضيين، ورأى الأوروبيون فيها خطرًا على مصالحهم، ربطوا حبالها بالوهابية النجدية وإن ناقضتها(١).

فإن الشيخ أحمد بن حجر قاضي المحكمة الشرعية الأولى بقطر قد ربط افتراءات بعض المتكلمين الحنابلة السابقين، بالافتراء على الشيخ محمد؛ لأن المخالفين لا ينقصون من قدر الآخرين إلا بالافتراء عليهم، وكذلك المستعمر لا يجد طريقًا في القضاء على الحركات الإسلامية إلا بمثل هذا الأسلوب.

وكان مما قاله الشيخ أحمد في كتابه «نقض كلام المفترين الحنابلة السلفيين»: «ونسبوا إلى الشيخ وإلى أتباعه أنهم لا يجعلون للرسول ﷺ حرمة بل يقول أحدهم عصاي خير من الرسول. ولا يرون للعلماء والصالحين مقامًا، وينكرون شفاعة الرسول ﷺ، ويحرمون زيارة قبره،

(١) انظر كتابه هذا ترجمة عبد العليم البستوي مراجعة وتقديم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ص١٦٥.

وقبور سائر المؤمنين، ولا يرون الصلاة على الرسول ﷺ، ولا يعتنون بكتب الأئمة، بل يحرقونها ويتلفونها ولا يرون تقليدهم جائزًا، ويكفرون المسلمين من قرون عديدة سوى من كان على معتقدهم، ويحرمون قراءة المولد النبوي»[(١)]. إلى غير ذلك من المزاعم.

والجواب أن هذه الأشياء المنسوبة إليهم كلها كذب لا نصيب لها من الصحة أبدًا، وهذه كتبهم مطبوعة تباع وتوزع، فمن أراد أن يعرف كذب هذه المزاعم فليقرأ كتبهم[(٢)].

ومن هنا ندرك السر في الإصرار على لقب الوهابية، وإشاعة أنهم مذهب خامس لأن علماء المغرب قد اكتووا بنار الوهابية الرستمية الخارجية الأباضية، التي قامت هناك وأسسها عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن رستم في آخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري ولديهم فتاوى حولها، ومذهب أهلها كما أوضحنا من قبل.

فهي ثوب جاهز ما على أعداء الدعوة إلا خلعه على هذه الدعوة الجديدة من باب التنفير، واختصار الطريق، لأنه لا يخدم المستعمر في ديار الإسلام إلا أصحاب البدع والخرافات.

أما العلماء من أصحاب المصالح فتمسكوا بما قيل من افتراءات، وألصق من شبهات رغم أن الحوار والنقاش ينفي تلك التهم وأنها لا أساس لها من الصحة، ويتبرأون منها. وما ذلك إلا أن الهوى يعمي ويصم.

ولكي يؤكدوا صحة ما وضعوا من شبهات استغل أعداء الدعوة ما صار بين الشيخ محمد وأخيه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب[(٣)] من خلاف

---

(١) من المعلوم أن إقامة المولد النبوي وقراءة المولد على ما يفعله البعض تقربًا وتعبدًا بدعة، يراجع القول الفصل في مولد خير الرسل ﷺ للشيخ إسماعيل الأنصاري.

(٢) انظر كتابه هذا ص٥٧ ـ ٥٨ إلى ص١٠١ حيث يرد على تلك الشبه.

(٣) الفقيه سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي. أخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب. عارض أخاه في الدعوة، وكتب رسائل في ذلك منها: الصواعق الإلهية =

بادئ الأمر حيث عارضه سليمان شأنه شأن طلبة العلم في منطقة نجد وخارجها، عدم الاستجابة إلا بعد معرفة الحقيقة، فإذا استبان الرشد رجعوا للحق مذعنين.

والشيخ سليمان أيضًا ممن اقتنع بحقيقة الدرب الذي سار فيه أخوه، وسلامة المقصد. فصار من مؤيديه بعد ذلك. نقول استغل الخصوم ذلك فألفوا رسالتين نسبتا إلى سليمان هذا هما «الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية» و«فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب».

بينما المتتبعون للأمر ينفون ذلك عن سليمان، وإنما قصد إلصاقها بسليمان لزيادة التنفير بأن أخاه سليمان وهو أقرب الناس أنكر عليه. بينما واقع الحال أنه تابعه ووفد إليه معتذرًا في الدرعية.

وكدليل آخر على كذب هذه المؤلفات، وعدم صحة نسبتها لسليمان، أن لقب الوهابية، لم تتفتق عنه الحيلة إلا مع الحملات التركية المصرية بقيادة إبراهيم باشا على نجد، وبعد موت الشيخ محمد بأكثر من عشرين سنة، وبعد موت سليمان أيضًا. بدليل أن «ني بور» المعاصر الأوروبي للشيخ محمد لم يستعمل اصطلاح الوهابية أصلًا وقال مسعود الندوي عنه: ويظهر من هذا أن اصطلاح الوهابية لم يكن معروفًا إلى ذلك الوقت، ولكنه يسمي دعوة الشيخ بدين جديد «New Religion» مع أنه في النهاية يعبر عن مذهب محمد بن عبد الوهاب الجديد بالمحمدية. وأن أول ذكر للوهابية جاء عند «برك هارت» الذي جاء الحجاز بعد استيلاء محمد علي في سنة ١٢٢٩هـ، كما جاء ذلك عند الجبرتي في تاريخه[(١)].

وكما جاء أيضاً في رحلة سادلير التي مر بنا ذكرها.

= في الرد على الوهابية، وفصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب. ثم عاد وأظهر الندم. توفي سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م تقريبًا. ينظر: عنوان المجد، لابن بشر، (١/١٠٢)، والسحب الوابلة، لابن حُميد النجدي، (٢/٦٧٧).

(١) راجع كتاب الندوي محمد بن عبد الوهاب ص١٦٧ ـ ١٦٨.

وقرينة ثالثة فلو كان سليمان بن عبد الوهاب ممن رد على أخيه وناوأ الدعوة، فإن اسمه سوف يتكرر في الردود، وسيأتي له ذكر أسوة بأسماء من ناوأها ولو لفترة، حيث الجدل والنقاش مستمر، وإنما هو ثوب ألبس لسليمان هذا ولم يكن، له كما ألبست الدعوة اصطلاحًا لا يربطها به صلة، لتنافر ما بين دعوة الشيخ محمد والوهابية الرستمية الخارجية، من حيث المعتقد والمحتوى، والمكان والطريقة وطريقة الاستشهاد بالدليل الشرعي، ولذا لم يرد له ذكر في ذلك مما يدل على براءته من ذلك.

فالوهابية الرستمية تخالف معتقد أهل السنة والجماعة، كما هو معروف عنهم من الدارسين لحالهم، بينما الشيخ، كما يقول بنفسه في رسائله وتشهد به جميع كتبه، وكتب أبنائه وتلاميذه: متبع وليس بمبتدع، يسير وفق مذهب أهل السنة والجماعة، ويدعم رأيه بالدليل الصحيح من كتاب الله الكريم، وسنة رسوله المصطفى ﷺ، وما انتهجه السلف الصالح من القرون المفضلة، كما هو واضح القياس في جميع كتبه ورسائله.

وقرينة رابعة: فإن مخالفة سليمان بن عبد الوهاب لأخيه كانت في بداية أمر الشيخ محمد، ووقتها لم تتعد الردود الكلام الشفوي والمراسلات الصغيرة، وابن غنام ممن رصد ذلك بتاريخه وقد عاصرهما سويًا وتوفى بعدهما بزمن، ولم يذكر من ذلك شيئًا رغم أنه ذكر المخالفين للشيخ. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن كلمة الوهابية نسبة لوالدهما سويًا، ولا يمكن أن يكون لسليمان الابتداع في إطلاقها لأنه لم يرد على والده من جهة، ومن أخرى فإنه يدرك أن النسبة خطأ، لأنها من نسبة الشيء إلى غير أصله، فلا يمكن أن تقول للمكي إنه مدني ولا للمغربي إنه هندي، وإن أطلقت تجاوزًا فهما يشتركان فيها، الراد والمردود عليه.

وهذه لا تنطلي على سليمان بن عبد الوهاب إذا كان هو صاحب الرد حقيقة.

وقرينة خامسة: أن الكاتبين عن الدعوة في وقتها حيث لفتت الأنظار من الغربيين وغيرهم مثل «ني بور» ممن عاصرها الذي وصل إلى الأحساء،

فقد كان يسميها المحمدية نسبة إلى محمد ابن عبد الوهاب وتارة يسميها الدعوة الجديدة. وهذان الاسمان لا يحققان الغرض المقصود باستثارة العامة و«برك هارت» الذي وصل الحجاز عام ١٢٢٩هـ، وقابل محمد علي وأثنى على هذه الدعوة ومكانتها العقدية وسلامتها من الشوائب، وانتقد من يخالفها فيما رصده برحلته. مما يبرهن على أن الحيلة قد تفتقت عن اسم يراد به الإثارة. ويعطي شرعية على تحريك الجيوش، وتجريد الحملات ضد هذه الدعوة بمثل هذا اللقب الجديد الذي لابد أن يكون له جذور تستولي على المشاعر، وإثارة الحماسة.

ولذا سبقت هذه التسمية الحملات من أجل إرهاق الناس بالضرائب ودعوتهم للبذل والإنفاق كما ذكر الجبرتي في تاريخه من أقاويل عنهم، بوجوب قتال الخوارج، وبأن الوهابية الأباضية الخارجية، قد عادت للظهور فيجب بذل المستطاع لمحاربتها.

وهذا من أهم بواعث نفض الغبار عن ذلك اللقب الكامن في سجلات التاريخ، ولذا فإنه قد كذب على سليمان بن عبد الوهاب تأليف هاتين الرسالتين بعد موته بزمن، كما زيفت في الوقت الحاضر مذZ٦ات (همفر) الذي قيل عنه بأنه جاسوس بريطاني، وعن علاقته بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث لم يعرف لذلك أصل، ولم يسمع بهذا الشخص من قبل.

وهذا من الادعاءات التي لا برهان عليها، أو دليل يؤيدها.. والكذب لا حدود له.

وأعداء الإسلام يهتمون بإثارة مثل هذا لما فيه من بلبلة للأفكار، وتحريك للفتن ونزع للثقة من كل داعية مخلص.

وصحافة اليوم دليل قاطع على هذا المنهج في الإثارة وكثرة الافتراءات على كثير من الدول؛ لأن منهجها يخالف الآخرين.

ذلك أن الدين الحق الصافي من الشوائب، كلما برز وبدأ الناس يميلون إليه لما فيه من تخليص للنفوس والمجتمعات من السلبيات التي

تدخل على دين الإسلام وهو منها براء، ينزعج أعداء الإسلام من ذلك العمل الذي يؤلف القلوب، فيحركون أعوانهم لمباعدة هذا الاقتراب، كما تحس هذا عندما قام الفلسطينيون بانتفاضتهم بالحجارة والهتافات... فقد انزعج اليهود من الدعوة للجهاد، التي هتف بها الأطفال، ومن ترديدهم لكلمة: الله أكبر، وأشاعوا في العالم بوسائل إعلامهم أن التمرد شيوعي. ليصرفوا النظر عن الاتجاه الإسلامي الذي خشاه اليهود.. فما أشبه الليلة بالبارحة.

والأمثال في ذلك كثيرة في كل مكان وزمان: فهذا الوتري المولود بالمدينة عام ١٢٦١هـ، والذي رأى الأستاذ أحمد العماري الذي حقق رسالته في محاكمة السلفية الوهابية بالمغرب في تساؤلاته حول هذه الرسالة بما نصه: ألا يكون الوتري أراد من مرافقته هاته ومحاكمته متابعة السلفية الوهابية بالمغرب كما تابعها بالمشرق حسب الإشارات التي وردت عنده بالرسالة؟ لماذا يتحيز للسلطان التركي وللوالي على مصر ضد محمد بن عبد الوهاب فهل هو تزمت شديد للطرقية على حساب السلفية، أو توجد خلفيات أخرى وراء التحامل؟ نحاول أن نجيب على هذه الأسئلة من خلال عرض الأسباب التي جعلت الوتري يكتب رسالته(١).

إذًا فكل من كتب كان لسبب دفعه، وهدف وجه إليه.

فقد تأثر أمثال الوتري باهتمام أهل المغرب بالدعوة السلفية بعد أن وصلت رسالة الإمام سعود بن عبد العزيز في عام ١٢٢٥هـ، حيث عهد المولى سليمان العلوي للأديب السيد حمدون بن الحاج الفاسي(٢) الإجابة

---

(١) انظر ص٤ من هذا التحقيق بمجلة كلية الآداب بفاس شعبة التاريخ عدد خاص سنة ١٤٠٦ه عام ١٩٨٥م ويقع هذا التحقيق في ٤٦ صفحة، وقد دافع المحقق بإنصاف عن السلفية في المغرب.

(٢) الفقيه الأديب البليغ أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمٰن بن حمدون السلمي المرداسي الفاسي المالكي، المعروف بـ«ابن الحاج». صاحب تآليف حسنة. من كتبه: حاشية على تفسير أبي السعود، ومنظومة في السيرة وشرحها في خمسة مجلدات، =

عليها، وقد أرفق بالجواب قصيدة مدح فيها ابن سعود، وقد أكد أبو عبد الله محمد الكنسوس[(١)] أن حمدون بن الحاج أجاب ابن سعود ومدحه بأمر من السلطان سليمان، وبرهن على ذلك بأمور مقنعة. ثم ذكر المحقق بعضًا من هذه الميمية في مدح سعود ومنها:

إن قمت فينا بأمر لم يقم أحد ... به فجوزيت ما يجزاه ذو نعم
بقطع أهل الحروب بالحجاز بأن ... يقتلوا أو يصلبوا بلاوهم
أو أن تقطع أيديهم وأرجلهم ... عن الخلاف أو أن ينفوا من أرضهم
حتى جرى الماء في بلاد الحجاز بأن ... طلعت سعد سعود غير ملتثم
لا شيء يمنع من حج ومعتمر ... وزورة يكمل المأمول من حرم
إذ عاد درب الحجاز اليوم سالكه ... أهنا وآمن من حمامة الحرم
مذُلاح فيه سعود ماحيًا بدعًا ... قد أحدثتها ملوك العرب والعجم[(٢)]

= والمقامات الحمدونية، والثمر المهتصر من روض المختصر، ونفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري. ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للسلاوي، (١٥١/٤)، وسلوة الأنفاس، للكتاني، (٤/٣).

(١) الوزير الكاتب الشاعر المؤرخ أبو عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس ويقال الكنسوس الجعفري القرشي السوسي المراكشي. ولد سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م ونشأ على عفاف وصيانة؛ لأن أسرته كانت ذات حسب ونسب. ثم توجه إلى فاس عام ١٢٢٩هـ طالبًا العلم، ونبغ أكنسوس في عدة علوم كالنحو واللغة والأدب والتاريخ والحساب والتوقيت. وولي في فاس الوزارة وديوان الإنشاء، وعزله المولى عبد الرحمٰن بن هشام. توفي بمراكش سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م. من كتبه: الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي، والحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية، وحسام الانتصار في وزارة بني عشرين الأنصار. ينظر: فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان، لمحمد غريط، (ص٧ ـ ٤٠)، وإتحاف المطالع، لابن سودة، (٢٦٠/١).

(٢) نفس المصدر السابق ص١٢. ويلاحظ أن بعض الأبيات لم يستقم وزنها.

من نتائج الخصومة

لقد كانت العيينة التي ارتبطت باسم الشيخ محمد، وتحركت منها دعوته الأولى، قلعة علمية يرتادها طلاب العلم، ورواد المعرفة، ويجاورها من الشرق بلدة صغيرة اسمها «الجبيلة»، وقد التصقتا الآن في مدينة واحدة[(١)].

وبالجبيلة كانت توجد قبور الصحابة رضوان الله عليهم، الذين قتلوا في حروب الردة حيث قرب المكان من مواقع معارك اليمامة التي أعز الله فيها دينه بقتل مسيلمة الكذاب[(٢)]. ومع الجهل وطول الزمن، وضعف

(١) تبعد عن الرياض ٤٠كم من الجهة الشمالية الغربية.

(٢) أبو ثمامة مُسيلمة الكذاب بن ثُمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي. متنبئ، من المعمَّرين. ولد ونشأ باليمامة. وتلقب في الجاهلية بـ«الرحمٰن»، وعرف بـ«رحمن اليمامة». ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة، وافتتح النبي ﷺ مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مُسيلمة معهم إلا أنه تخلَّف مع الرحال خارج مكة، وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد وذكروا للنبى ﷺ مكان مُسيلمة فأَمر له بمثل ما أمر به لهم، وقال: «ليس بشركم مكانًا». ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسليمة إلى النبي ﷺ: «من مُسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك، أما بعد، فإني قد أُشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشًا قوم يعتدون». فأجابه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم: من محمد رسول الله إلى مُسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين». وذلك في أواخر سنة ١٠هـ. وأكثر مُسيلمة من وضع أسجاع يُضاهي بها القرآن. وتوفى النبي ﷺ قبل القضاء على فتنته، =

العقيدة في النفوس، اتخذ الناس عليهم المباني، ونصبت القباب، على قبر زيد بن الخطاب[(١)] وبقية الصحابة. فصارت النذور تقدم لهم، والقرابين تدفع عندهم، وقصدهم الناس من دون الله.

والذي يرجع لمبدأ البناء على القبور في العالم الإسلامي يراه مرتبطًا بقيام دولة القرامطة في الجزيرة العربية، والفاطميين في المغرب ثم في مصر.

ولكن العلماء لا يحركون ساكنًا؛ لأن جوهر العقيدة وهو المحرك لذلك قد ضعف، بل بلغ الأمر إلى أن الجهة التي لا يوجد فيها أولياء يبنى على قبورهم، كان الناس يبحثون عن شيء يتعلقون به كالشجر والحجر والمغارات وغيرها.

ومن يدرك من العلماء ضرر ما وقع فيه الناس من خلل، وبعد عن العقيدة الصافية فإنه تنقصه الشجاعة في إظهار الأمر، ولا يستطيع الجهر خوفًا من العامة، التي تدعمها السلطة.

= فلما انتظم الأمر لأبي بكر، انتدب له أعظم قواده خالد بن الوليد على رأس جيش قوي هاجم ديار بني حنيفة. وصمد هؤلاء، فكانت عدة من استشهد من المسلمين على قلتهم في ذلك الحين ٢٢٠٠ رجل، منهم ٤٥٠ صحابيًّا، وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مُسيلمة سنة ١٢هـ. ينظر: السيرة النبوية، للشيخ أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٥٥هـ، ١٩٣٦م، (٣/٧٤)، والروض الأُنُف في تفسير السيرة النبوية، للإمام أبي القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله الخثعمي السُّهَيْلي، تحقيق: الشيخ عبد الرحمٰن الوكيل، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م، (١/٣٤٠)، والكامل في التاريخ، لابن الأثير، (١/١٣٧ ـ ١٤٠).

(١) الصحابي الشهيد أبو عبد الرحمٰن زيد بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أخو أمير المؤمنين الفاروق عمر رضي الله عنه، وكان أسن منه، وأسلم قبله. من شجعان العرب في الجاهلية والاسلام. شهد المشاهد. وكانت راية المسلمين في يده يوم اليمامة، فثبت إلى أن قُتل سنة ١٢هـ. وحزن عليه عمر رضي الله عنه حزنًا شديدًا. ينظر: ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير، (٢/١٣٣، ١٣٤)، والإصابة، لابن حجر، (٢/٤٩٩، ٥٠٠).

لكن الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ أدرك هذا وهو لا يزال طالبًا. إذ بدأ ينمي الشجاعة في نفسه، ويوطنها على التحمل، في سن مبكرة ويبين ما يجب إيضاحه كلما عرض له مناسبة في مثل هذه المواقف.

١ ـ عندما كان يدرس في العيينة، كان أحد أساتذته إذا أراد بدء درسه همهم بدعاء يستعين فيه بزيد بن الخطاب ويطلب منه المدد، فكان محمد يرد بصوت خفيف لا يسمعه غير هذا الأستاذ لينبهه: الله أقدر من زيد.

ومع الزمن ترك الأستاذ تلك العادة، ثم استدعاه ونصحه بالرفق فيما هو مقبل عليه، مع الحلم في دعوة الناس؛ لأن تغيير ما ألفه الناس وإن كان باطلًا يحتاج إلى علم مقرون بحلم وشجاعة.

٢ ـ وعندما كان يطلب العلم في مكة، كان يجلس في حلقة أحد المشايخ الذي أعجب به وبذكائه، وكان هذا الشيخ إذا قام من كرسيه بعد انتهاء الدرس يقول: يا كعبة الله. فأراد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أن يلفت نظر الشيخ وبرفق لهذا الخطأ العقدي. فجاء إليه يومًا مبكرًا وقبل وصول الطلاب، وقال له: أريد أن أقرأ عليك شيئًا من حفظي في القرآن، فرحب الشيخ بذلك. فقرأ عليه سورة قريش فلما وصل إلى الآية:

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ قرأها فليعبدوا هذا البيت، فرد عليه الشيخ الخطأ وصحح له، ولكنه أعادها ثلاثًا بنفس الخطأ. فقال له الشيخ: أنت الخطأ ذكي، فلماذا كررت الخطأ وهذا لا يصح لأن العبادة الله، لا للبيت. فقال: يا شيخ معذرة فقد تأثرت بك. فقال: عجيب وماذا قلت؟ فأخبره بما يقول كلما قام. قال الشيخ هذا خطأ وقد قلدت غيري فيه من دون رؤية واستغفر الله من ذلك. وأبطل هذه العادة. ثم قال له: سيكون لك شأن ولكن عليك بالتحمل والصبر.

٣ ـ أما في الزبير بالعراق، فقد آذوه وطردوه لأنه أنكر عليهم التمسح والتوسل بقبر الزبير بن العوام[1] الذي سميت البلدة باسمه.

---

(١) الصحابي أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي. حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة =

٤ ـ وعندما كان يدرس تلاميذه في الدرعية التوحيد، وأيقن أنهم قد أدركوا ذلك أراد اختبارهم، وكان درسه بعد صلاة الفجر، فقال في أول الدرس لطلابه، لقد سمعت ضجة ليلة البارحة في أحد أحياء المدينة، وصياحًا، فماذا ترون قد حصل؟ فاهتم التلاميذ بالمساهمة والحماسة، إذ لعله سارق، أو مجرم، أو شخص يتعدى على أعراض الناس.

وفي اليوم التالي: سألهم هل عرفتم الأمر وماذا ترون جزاءه. فقالوا: لم نعرف ولكن يجب أن يجازى بأقصى العقوبات الرادعة.

فقال الشيخ محمد مهونًا الأمر أمامهم ليعرف نتائجه في نفوسهم: أما أنا فقد عرفت: ذلك إن امرأة نذرت أن تذبح ديكًا أسود للجن، إن عوفي ابنها من مرض ألم به، وقد عوفي فتعاونت مع زوجها على ذبح الديك، فهرب منهم وصاروا يلاحقونه من سطوح المنازل، حتى أمسكوه وذبحوه بدون تسمية للجن، كما أخبرها بذلك أحد المتعاطين للسحر.

فهدأت ثائرة الطلاب. فلما رأى هذا منهم. قال: إنكم لم تعرفوا التوحيد الذي درستم. لما كانت المسألة جريمة يعاقب عليها الشرع بالحد الموضح نوعه في كتب الفقه أهمكم الأمر، وتحمستم له، ولما أصبح الموضوع يتعلق بالعقيدة هدأتم بينما الأول معصية، أما الثاني فشرك، والشرك يقول الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1].

إذًا سنعيد دراسة التوحيد من جديد، ثم جاءته فكرة إعداد كتاب التوحيد وتقريره على طلابه من تلك الحادثة.

= أهل الشورى. أسلم وهو حَدَث وله ١٢ سنة. وشهد المشاهد. جعله عمر ﷺ فيمن يصلح للخلافة بعده. كان موسرًا، خلف أملاكًا عظيمة. وكان طويلاً جدًّا. قتله ابن جُرْمُوز غِيلةً يوم الجمل قرب البصرة سنة ٣٦هـ. ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير، (٩٧/٢ ـ ١٠٠)، والإصابة، لابن حجر، (٤٥٧/٢ ـ ٤٦١).

(١) سورة النساء آية ٤٨.

لقد نتج عن دعوة الشيخ أمور منها:

بالنسبة لمن يريد أن يسترشد فإنه قد كتب بعضهم للشيخ مستوضحًا عما وصله من أخبار الشيخ ومستجليًا للإجابة عن الشبهات التي نسبت للشيخ، ووصل إليهم علمها.

ورسائل الشيخ التي أشرنا إليها من قبل تنبئ عن ذلك، ولذا فإن من فطنة الشيخ أن يخبرهم بأسماء من أشاعها من طلبة العلم في زمانه. ويوضح لهم ما يجب عليهم.

أما العلماء الذين يريدون الوصول للحقيقة فكانت كتاباتهم للشيخ تتسم بعمق النظرة وتركيز السؤال، حيث يحكمون على الشيخ من إجابته المدعومة بالدليل الشرعي نقلًا من كتاب الله وسنة رسوله، أو عقلًا بما هو مدرك ومحسوس. وهؤلاء في الغالب الأعم، عندما يتبين لهم الحق يتبعونه ويركنون إليه، وتعتبر رسائله بمثابة التعليم لهم والإرشاد كما في رسالته إلى محمد بن عيد من مطاوعة ثرمداء[(١)] ورسالته إلى البكيلي في اليمن[(٢)] ورسائله إلى عبد الله بن سحيم مطوع المجمعة[(٣)] وغيرها.

أما الحكام الذين هدفهم حقيقة الدفاع عن دين الله، ورد الشبهات التي تثار حوله فإنهم يتخذون المناظرة طريقًا للوصول للهدف، ولا يجري المناظرة إلا من لديه استعداد بالرجوع للحق إذا استبان له، كما حصل لهذه الدعوة مع علماء مكة التي جرت على إثرها مناظرة بين علماء مكة وعلماء من الدرعية منهم الشيخ محمد بن معمر، والشيخ عبد العزيز الحصين. وقد كانت النتيجة قناعة علماء مكة بسلامة منهج هذه الدعوة، وصحة الخط الذي تسير فيه[(٤)] ومع ملوك المغرب، فقد كتب الشيخ محمد

(١) هي الرسالة الثالثة من رسائله ص٢٤ ـ ٣٠، وأيضًا الرسالة الثانية من رسائله ص١٦ ـ ٢١.
(٢) هي الرسالة الرابعة عشر من رسائله ص٩٤ ـ ٩٨.
(٣) انظر مثلًا الرسالة ١١ ص٦٢ ـ ٧٦، والرسالة ٢٠ ص١٣٠ ـ ١٤١.
(٤) راجع كتاب البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد الطبعة الأولى سنة ١٢٤٤هـ.

رسالة لأهل المغرب[١]، ثم رسالة أخرى قال عنها أبو العباس الناصري، في كتابه التاريخي «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى»: وفي هذه المدة أيضًا وصل كتاب عبد الله بن سعود الوهابي النابغ بجزيرة العرب، المتغلب على الحرمين الشريفين المظهر لمذهبه فيها إلى فاس المحروسة بكتاب؛ لأن ابن سعود لما استولى على الحرمين بعث كتبه إلى الآفاق كالعراق والشام ومصر والمغرب يدعو الناس إلى إتباع مذهبه والتمسك بدعوته.. ثم شكك المؤلف هل الرسالة أصلها لتونس حيث بعث مفتيها نسخة إلى فاس. أم أنها موجهة للسلطان المولى سليمان العلوي بالقصد، إلا أن نسخة منه وردت بواسطة علماء تونس[٢].

ومن باب الإيضاح: فإن هذه الرسالة قد بعثها الإمام سعود بن عبد العزيز بعد أن استولى على المدينة في عام ١٢٢٠هـ؛ لأن الشيخ محمد قد توفي في عام ١٢٠٦هـ.

وقد وجدت نسخة من هذه الرسالة منشورة باللغة العربية في صحيفة «إسلاميكا ISLAMIGA» الألمانية، العدد الأول المجلد السابع الصادر في عام ١٩٣٥م، ضمن مقال مطول باللغة الألمانية لأحد المستشرقين عن الوهابية بالمغرب.

وهذه الرسالة لشرح حقيقة التوحيد، وما تنطوي عليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتقع في ثلاث صفحات[٣].

ولقد كان لهذه الرسالة صدى لدى حكام المغرب العلويين الذين قامت دولتهم لمحاربة النصارى والنهوض بالمغرب الأقصى منذ عام ١٦٣١م الموافق لعام ١٠٤١هـ[٤].

---

(١) هي الرسالة ١٧ من رسائله ص١١٠ ـ ١١٥.
(٢) انظر الاستقصا ٨ ص١١٩ ـ ١٢٠.
(٣) انظر تلك المجلة، حيث علق المستشرق على هذه الرسالة مشوهًا الدعوة بخلاف ما فيها من وضوح وأدلة.
(٤) راجع كتاب المغرب الكبير للدكتور جلال يحلى ج٣ ص٦٥ ـ ٦٦ ويرى صاحب الاستقصا أنه عام ١٠٤٥ ج٧ ص١٥.

ففي عام ١٢٢٦هـ، يقول الناصري: وجه السلطان المولى سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ ولده الأستاذ الأفضل المولى أبا إسحاق إبراهيم بن سليمان إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس على هيئة بديعة من الاحتفال.

وكانت الملوك تعتني بذلك وتختار له أصناف الناس من العلماء والأعيان، والتجار والقاضي وشيخ الركب، وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرهما، فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران، والفقيه الشريف البركة المولى الأمين بن جعفر الحسني الرتبي(١)، والعلامة الفقيه الشهير أبي عبد الله محمد العربي السواحلي وغيرهم من علماء المغرب(٢) إلى أن قال: ولما اجتمع(٣) بالشريف المولى إبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الكريم، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته وكان الذي تولى الكلام معه الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم الزداغي فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم: إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية، فأي شيء رأيتمونا خالفنا وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا، فقال القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي. فقال لهم: معاذ الله، إنما نقول كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة. فهل في هذا مخالفة؟ قالوا: لا. وبمثل هذا نحن أيضًا نقول ثم قال القاضي: وبلغنا أنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ وحياة إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم، فلما سمع ذكر النبي ﷺ ارتعد ورفع صوته بالصلاة

(١) أبو عبد الله الفقيه محمد الأمين بن جعفر الحسني العلوي الصوصي. فاضل. من أهل آيت الرتب أحد أعمال سجلماسة. كان حيا أواسط القرن الثالث عشر الهجري. ينظر: دليل مؤرخ المغرب، لابن سودة، (ص٣٦٢)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، (٧١/٩).

(٢) انظر الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ج٨ ص١٢٠.

(٣) الضمير في اجتمع يعود إلى ابن سعود.

عليه. وقال: معاذ الله، إنما نقول إنه ﷺ حي في قبره وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء، ثم قال القاضي: وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته ﷺ، وزيارة سائر الأموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن إنكارها. فقال: معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا، وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها، وإنما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية، ويطلبون من الأموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها إلا الربوبية، وإنما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الأموات، وتذكر مصير الزائر إلى ما صار إليه المزور، ثم يدعو له بالمغفرة. ويستشفع به إلى الله تعالى[(١)]، ويسأل الله تعالى المتفرد بالإعطاء والمنع هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ولما كان العوام في غاية البعد عن إدراك هذا المعنى منعناهم سدًا للذريعة، فأين مخالفة السنة في هذا القدر. ثم قال صاحب الجيش: هذا ما حدث به أولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة، ثم سألنا الباقي أفرادًا فاتفق خبرهم على ذلك[(٢)].

ثم قال المؤلف: وأقول بأن السلطان المولى سليمان رحمه الله كان يرى شيئًا من ذلك ولأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها على حال متفقرة الوقت وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة، وبين فيها بعض آداب الزيارة للأولياء، وحذر من تغالي العوام في ذلك وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين جزاه الله خيرًا[(٣)].

وقد نشأ عن اهتمام ملوك المغرب بالاتجاه السليم في العقيدة،

(١) ابن سعود لا يقول هذا، ولكن آفة الأخبار رواتها، لأنه منفي، فالاستشفاع بالميت إلى الله تعالى غير جائز، سواء كان يطلب الدعاء منه أو غير ذلك لأن عمله انقطع إلا من ثلاث علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية كما صح الحديث. ينظر: التحقيق والإيضاح لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في آداب الزيارة.

(٢) الاستقصا ج٨ ص١٢١ ـ ١٢٢.

(٣) نفس المصدر ص١٢.

لأنهم يبحثون عن الحكمة التي هي ضالة المؤمن، أَنَّى وجدها أخذها أن رأينا منهم اهتمامًا كبيرًا بتنقية العقيدة:

١ ـ فهذا السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي وصفه المؤرخ الفرنسي شارلي جوليان في كتابه «تاريخ إفريقيا الشمالية» تعريب محمد المزالي والبشير بن سلامة بقوله: وكان سيدي محمد وهو التقي الورع على علم بواسطة الحجيج بانتشار الحركة الوهابية في الجزيرة العربية وتأييد عائلة آل سعود لها، وقد أعجب بصرامتها وكان يؤثر عنه قوله: «إني مالكي المذهب وهابي العقيدة» ومضت به حماسته الدينية إلى الإذن بإتلاف الكتب المتساهلة في الدين حسب رأيه والمحللة لمذهب الأشعرية، وتهديم بعض الزوايا مثل زاوية بوجاة(١).

وقد توفى هذا السلطان في شهر رجب من عام ١٢٠٤هـ(٢).

٢ ـ والسلطان سليمان التي مرت بنا مناظرته قد أحب هذه الدعوة وعمل جاهدًا على إصلاح وضع المغرب برسالته التي عمم وبمحاربته للطرق الصوفية المنحرفة «المربوطية»(٣) وكانت وفاته عام ١٢٣٨هـ، كما قال بذلك الناصري في كتابه «الاستقصا» بعد أن أثنى على ديانته وسيرته، وحرصه على محاربه الإلحاد والبدع(٤).

٣ ـ والسلطان الحسن الأول في عام ١٣٠٠هـ، وجه رسالة إلى الشعب المغربي يودع فيها القرن. ويتحدث عن ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة ومحاربة البدع، ويرغب في حسن العقيدة، كما قال بذلك الدكتور عباس الجراري في محاضرة ألقاها بجامعة الرياض سنة ١٣٩٩هـ، حيث قال: إنه عاش في السنوات الأولى هذا القرن في المغرب مع الدعوة

(١) انظر هذا الكتاب ج٢ ص٣١١.
(٢) انظر خبر وفاته في الاستقصا ج٨ ص٦٥.
(٣) انظر كتاب انتشار دعوة الشيخ محمد لمحمد كمال جمعة ص٢٣٧ ـ ٢٣٨.
(٤) راجع ج٨ ص١٦٤ ـ ١٦٦.

السلفية على يد أحد كبار العلماء المحدثين المغاربة، وهو الشيخ أبو شعيب الدكالي[(١)] الذي أقام بمكة مدة تزيد على عشر سنين، وقام بتدريس الحديث في الحرم المكي، ثم عاد إلى المغرب حيث أصبح زعيمًا للحركة السلفية لمدة تزيد على ربع قرن، وبشر بالفكرة السلفية، وحارب البدع والضلالات[(٢)].

هذا إلى جانب اهتمام المسلمين بها في كل مكان، وتحقيق طلبة العلم من صدق الهدف وبعدها عن مسارب البدع والخرافات التي أنكرها علماء الإسلام في كل مكان.

ولقد زاد الأمر وضوحًا أن الناس في كل مكان ما كانوا ليقتنعوا إلا بما هو واضح يدعمه الدليل، فوضح أمامهم أن محمد بن عبد الوهاب كغيره من الدعاة المصلحين جاء ليجدد الدعوة، وينقي العقيدة من الفساد الذي أدخل عليها نتيجة الجهل، أداء للأمانة، ونصحًا للأمة، ليعيد الناس بأعمالهم واعتقاداتهم إلى منهج السلف الصالح منذ عهد رسول الله ﷺ إلى نهاية القرن الثالث الهجري، حيث بدأت البدع تدخل الصف الإسلامي نتيجة غلبة الأمم، والتأثر بثقافات وأفكار الأمم الأخرى في معتقداتها، ولضعف العلماء في أداء الأمانة.

وتعتبر الدولة الفاطمية التي ناوأها أهل المغرب في القرن الرابع الهجري، فاتحة شر في تاريخ البدع في المجتمع الإسلامي، وقد أبان عن

(١) الوزير الأديب المحدث أبو شعيب بن عبد الرحمٰن الصديقي الدَّكَّالي. أول من أحيا العقائد السلفية في المغرب. ولد سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م. وتعلم في القرويين بفاس. ورحل إلى مصر سنة ١٣١٤هـ فجاور في الأزهر نحو ست سنوات، وسافر إلى مكة، فكان إمام الحرم وخطيبه. ثم رجع إلى المغرب، فتقرب من السلطان عبد الحفيظ، وولي القضاء بمراكش، ثم وزارة العدلية. ثم استعفى وانقطع للتدريس في مدينة الرباط إلى أن توفي سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م. ينظر: المدهش المطرب، لعبد الحفيظ الفاسي، (١٤١/٢)، وإتحاف المطالع، لابن سودة، (٤٧٧/٢).

(٢) من أراد رسالته هذه فليرجع لكتاب الترجمانة الكبرى ص٤٦٦ ـ ٤٧٠.

أعمالهم ابن عذارى المراكشي[(١)] في تاريخه «البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب»، وأتى بالشيء الكثير من سيرهم وأعمالهم، حيث يرى أنهم ليسوا من نسل فاطمة الزهراء[(٢)]، وإنما يعودون إلى اليهود وأنهم من أصل غير شرعي حيث اتصلوا بابن الحلاج[(٣)] وأخذوا عنه هذا المعتقد[(٤)].

☼ ☼ ☼

---

(١) المؤرخ أبو عبد الله محمد أو أحمد بن محمد الأندلسي المراكشي، المعروف بـ«ابن عِذَارِي». توفي سنة ٦٩٥هـ تقريبًا. من كتبه: البيان المُغْرِب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. ينظر: هدية العارفين، لإسماعيل البغدادي، (١٣٨/٢)، والأعلام، للزركلي، (٩٥/٧).

(٢) أم أبيها فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب الزهراء الهاشمية القرشية. أمها خديجة بنت خويلد. ولدت سنة ١٨ق.هـ. أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه. تزوجها أمير المؤمنين علي ﷺ في الثامنة عشرة من عمرها، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب. وعاشت بعد أبيها ستة أشهر. توفيت سنة ١١هـ. ينظر: ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير، (٢٢٠/٦)، والإصابة، لابن حجر، (٢٦٢/٨).

(٣) أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الفارسي. اختلف فيه الناس. نشأ بواسط العراق، وانتقل بين البلدان. صحب الجُنيد وغيره. ظهر أمره في تُسْتَر سنة ٢٩٩هـ، فاتبعه بعض الناس ، فأمر المقتدر العباسي بالقبض عليه، فقطعت أطرافه الأربعة، ثم حُز رأسه وأحرقت جثته، ولما صارت رمادًا ألقيت في دجلة، ونصب الرأس على جسر بغداد، وذلك سنة ٣٠٩هـ، منهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة. كان جده مجوسيًّا. ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، (١١٢/٨ ـ ١٤١)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (٣١٣/١٤ ـ ٣٥٤).

(٤) انظر نسبهم في البيان المغرب ج١ ص١٥٨ ـ ١٥٩. لابن عذاري.

(وبعد) فإذا كان الفقهاء رحمهم الله يقولون: الأصل براءة الذمة، ورجال القانون في العصر الحاضر كلمتهم المعهودة تقول: المجرم بريء حتى تثبت إدانته، وأصدق من ذلك قول الله ﷻ:

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾(١).

فإن من مهمات طالب العلم عدم الانسياق خلف كل قول، ومن دون تحقيق أو تثبت؛ لأن زلة العالم كبيرة، وانسياقه خلف آراء أصحاب الأهواء يزرى بمكانته، ويقدح في عدالته، فلقد جاء في الأثر: «إذا جاءك الخصم قد فقئت عينه فلا تحكم له، فلعل الآخر قد فقئت عيناه».

ذلك أن الخصومة في الرأي أو المعتقد أو الحقوق، مداولة بين طرفين فلا يصح أن يؤخذ الحكم من جانب ويترك الجانب الآخر، وإلا أصبح في الحكم تحيز.

وإصدار الحكم عدالة يجب التثبت منها، والتروي في نتيجتها حتى لا تكون جائرة. لأن منهجنا في الإسلام حفظ اللسان من الزلل، والأعمال من الخطأ.

وميزان ذلك الحفظ، عرض كل أمر على كتاب الله وسنة رسوله الكريم: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(٢) والحق أحق أن يتبع.

يقول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «لأن أخطئ في العفو خير من أن أخطئ في العقوبة». هذا لرغبته رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدم إيجاد نفرة في المجتمع الإسلامي أفرادًا وجماعات.

---

(١) سورة الحجرات آية ٦.

(٢) سورة النساء آية ٥٩.

(٣) الخليفة الخامس أشج بني أمية أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مَرْوَان بن الحكم الأُموي القرشي. الخليفة الصالح، والملك العادل. ولد سنة ٦١هـ، ونشأ بالمدينة. ولي الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ. توفي سنة ١٠١هـ. ومدة خلافته سنتان ونصف. ينظر: تاريخ الرسل والملوك، للطبري، (١٣٧/٨)، وحلية الأولياء، لأبي نعيم، (٢٥٣/٥).

ولئن كانت هذه التسمية ـ الاصطلاحية ـ خطأ في النسبة، والمعتقد، كما كانت الآراء المنسوبة للشيخ محمد وأتباعه، خطأ، وتبرأوا من ذلك كتابة ومناقشة، فإن المتتبعين لهذه العقيدة السلفية، هم أعرف بما تعنيه من دلالات واضحة من مصدري التشريع في دين الإسلام: كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ، ولذا لم يتبرموا من هذا اللقب، لإدراكهم بأن ما قيل ما هو إلا محض افتراء، لا يثبت بالنقاش والمحاورة، فهم متبعون للمحجة البيضاء التي ترك سيدنا رسول الله ﷺ أصحابه عليها ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وهي المأخوذة من قوله ﷺ وعمله وتقريره، بعد التوثق من ذلك صحة وسندًا.

فهذا عمران بن رضوان ـ وهو من مسلمي خارج الجزيرة ـ، وعلماء بلده لنجه، عندما بلغته هذه الدعوة وتحقق عنها مدحها بقصيدة جاء فيها هذا البيت[(١)]:

إن كان تابع أحمد متوهبًا   فأنا المقر بأنني وهابي

وما ذلك إلا أن هذا اللقب كما قال العالم العراقي محمد بهجت الأثري: «من وحي أعداء الإسلام، الذين كانوا يظنون أن العالم الإسلامي قد صار جثة هامدة لا حراك بها، ولابد أن تكون الدول الاستعمارية هي الوارثة لأرضه. وكنوزه ومعادنه وخيراته، فوضعت هذه الدعوة الجديدة التي انبعثت من قلب جزيرة العرب مدوية لجمع شمل المسلمين، وإنقاذهم من المهالك، في ثورة الطائفية التي تزيد أرقام الطوائف رقمًا جديدًا، أي عكست الحال. فنبزتها بالوهابية، وأذاعت هذا النبز الأنباء الذائعة الشهرة، فتلقفته الأسماع، وردده الألسن، وراق الدولة العثمانية هذا النبز فأجرته على السنة الدراويش ومرتزقة طعام التكايا والزوايا من تنابلة السلطان، وأفرطت في إلقاء الشبهات عليه وتشويهه، ولا سيما بعد استفحال شأنه،

(١) المذكور من علماء ووجهاء مدينة لنجد بإيران.

وقيام الدولة العربية الإسلامية في جزيرة العرب على أساسه وقواعده»[١].

ولقد رأيت من المناسب أن أختم هذه الرسالة الموجزة بكتابين:

ـ **أحدهما**: أرسله الشيخ سليمان بن عبد الوهاب إلى ثلاثة من علماء المجمعة.

ـ **والآخر**: من الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لأهل القصيم.

إلا أن تأريخهما بكل أسف لم يكن واضحًا. في هذا الكتاب يوضح الشيخ محمد منهجه في الدعوة، حيث طلب مني بعض علماء موريتانيا ذلك عندما زرت بلادهم في شعبان عام ١٤٠٧هـ، وذلك من باب إفادة القارئ، وفتح المجال أمامه ليستوثق بنفسه ويحكم ويوازن من غير أن يفرض عليه رأي لم يقتنع به، وقد جعلتهما ملحقًا لهذا.. وما أردت إلا الإصلاح والتوفيق من الله العزيز الحكيم.

---

(١) ينظر: محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث، (ص١٦، ١٧).

الملحق

* أولاً:

وإن من استكمال فائدة القارئ إيراد واحدة من رسائل الشيخ محمد التي بعث لأهل القصيم، لما سألوه عن عقيدته للاطمئنان عن اتجاهه، والرد عليه إذا كان مخالفًا لآراء العلماء؛ لأن الناس هناك لم يستجيبوا لدعوته، إلا بعد دراسة وتمحيص، وهذا من مهمة العلماء في استجلاء الحقيقة، ورد المعتدي ببصيرة وإدراك.

وهذا هو نص هذه الرسالة.. ولها نظائر مع كل من سأله أو اشتبه في أمره.. وتكون النتيجة الاستجابة لمن يريد الحق، لأنهم لم يجدوا لدى الشيخ ما يخالف شرع الله أو يغاير ما عليه أعلام أمة الإسلام من المصادر الموثوقة:

◈ رسالة الشيخ إلى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته

(١) نشرت هذه الرسالة في القسم الخاص للرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب تصنيف د. محمد بلتاجي ود. سيد حجاب والشيخ عبد العزيز الرومي وهي الرسالة الأولى ص٧ ـ ص١٣. نقلًا عن الدرر السنية ج١ ص٢٨ ـ ٣١. وطبعت عدة طبعات منها طبعة الجامعة الإسلامية ، وطبعة دارة الملك عبدالعزيز، وطبعت وزارة الشؤون الإسلامية. (فهذه الرسالة أصلها جواب عن سؤال من اهل القصيم للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عن عقيدته ، فكتب إليهم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الرسالة يدفع بها الشبه التي شاعت ضده)

الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ ومن غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله ﷻ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى، بصفات خلقه لأنه تعالى لا سميَّ لَهُ ولا كفؤ له، ولاند له، ولا يقاس بخلقه فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل: وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾[1]. والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية؛ وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج.

وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود: وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ، وأومن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور.

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه

(١) الصافات الآيات: ١٨٠ ـ ١٨٢.

فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، وتنشر الدواوين فأخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله.

وأومن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه مرة لم يظمأ بعدها أبدًا، وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم. وأومن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضا كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[(٣)].

وهو لا يرضى إلا التوحيد؛ ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون

فليس لهم من الشفاعة نصيب؛ كما قال تعالى:

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[(٤)].

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنها اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان؛ وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته.

وأومن بأن نبينا محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته؛ وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق؛ ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة ﷺ.

(١) الأنبياء آية: ٢٨.
(٢) البقرة آية: ٢٥٥.
(٣) النجم آية: ٢٦.
(٤) المدثر آية: ٤٨.

وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم وأترضَّى عنهم واستغفر لهم وأكف عن مساويهم وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾[1]. وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء، وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئًا ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء، ولا أكفر أحدًا من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام، وأرى الجهاد ماضيًا مع كل إمام برًا كان أو فاجرًا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدًا إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته؛ وحرم الخروج عليه، وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالدين وأكل سرائرهم إلى الله، وأعتقد أن كل محدثة في الإسلام بدعة.

وأعتقد أن الإيمان قول باللسان، وعمل يعمل، بالأركان، واعتقاد بالجان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة.

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال لتطلعوا على ما عندي والله على ما نقول وكيل.

(١) الحشر آية: ١٠.

ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى عليَّ أمورًا لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي.

فمنها: قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإني أقول أن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء وإني أدعي الاجتهاد، وإني خارج عن التقليد وإني أقول إن اختلاف العلماء نقمة، وإني أكفر من توسل بالصالحين، وإني أكفر البوصيري لقوله:

* يـــا أكـــرم الــــخـــلـــق *

وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابًا من خشب، وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وأني أكفر من حلف بغير الله، وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي، وإني أحرق «دلائل الخيرات» و«روض الرياحين» وأسميه «روض الشياطين».

جوابي عن هذه المسائل أن أقول:

سبحانك هذا بهتان عظيم. وقبله من بهت محمدًا ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ الآية[(١)]. بهتوه ﷺ بأنه يقول إن الملائكة وعيسى وعزيرًا في النار. فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾[(٢)].

وأما المسائل الأُخَر وهي أني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إلٰه إلا الله، وأني أعرف من يأتيني بمعناها، وأني أكفر

(١) النحل آية: ١٠٥.
(٢) الأنبياء آية: ١٠١.

الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله، وأخذ النذر لأجل ذلك، وأن الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام.

فهذه المسائل حق وأنا قائل بها. ولي عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله، ومن أقوال العلماء المتبعين كالأئمة الأربعة، وإذا سهل الله تعالى بسطت الجواب عليها في رسالة مستقلة إن شاء الله.

ثم اعلموا وتدبروا قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ الآية[1].

(١) الحجرات آية: ٦.

*** ثانيًا:**

قال صاحب كتاب «مصباح الظلام»[(١)] بعد اعتراضه على ما نسب لسليمان بن عبدالوهاب من رد على أخيه: هذا وقد مَنَّ الله وقت تسويدَ هذا بالوقوف على رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الأول؛ وأنه قد استبان له التوحيد والإيمان، وندم على ما فرَّط من الضلال والطغيان. وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الأول

من سليمان بن عبد الوهاب إلى الإخوان: أحمد بن محمد التويجري[(٢)] وأحمد ومحمد ابنا عثمان بن شبانة[(٣)].

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد.

---

(١) الفقيه الأديب عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي. من آل الشيخ في نجد. ولد ونشأ ببلدة الدرعية. ولد سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م. وارتحل الى مصر، وتوفي بالرياض سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م. من مؤلفاته: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جَرْجِيس، ومصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، و البراهين الإسلامية في الرد على الشبهات الفارسية. ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، لحفيد صاحب الترجمة عبد الرحمٰن آل الشيخ، وهدية العارفين، لإسماعيل البغدادي، (٦١٩/١).

(٢) الفقيه القاضي أحمد بن محمد بن عبد الله التويجري النجدي الحنبلي. أخذ الفقه عن عدة مشايخ منهم: عبد القادر العديلي، ومحمد بن عفالق، صاحب الأحساء. وأخذ عنه عدة منهم: محمد بن سلوم الفرضي وغيره. تولى القضاء في بلد المجمعة. توفي سنة ١١٩٤هـ. ينظر: عنوان المجد، لابن بشر، (٧٣/١)، وتسهيل السابلة، لصالح البُرَدي، (١٦٢٨/٣) ، وقع خطأ في الأصل باسم (حمد).

(٣) نشرت هذه الرسالة في القسم الخاص للرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب تصنيف د. محمد بلتاجي ود. سيد حجاب والشيخ عبد العزيز الرومي وهي الرسالة الأولى ص٧ ـ ص١٣. نقلًا عن الدرر السنية ج١ ص٢٨ ـ ٣١.

فأحمد إليكم الله الذي لا إلٰه إلا هو، وأذكركم ما منَّ الله به علينا وعليكم من معرفة دينه، ومعرفة ما جاء به رسوله ﷺ من عنده، وبصَّرنا به من العمى، وأنقذنا من الضلالة. وأذكركم بعد أن جيتونا في الدرعية، من معرفتكم الحق على وجهه، وابتهاجكم به، وثنائكم على الله الذي أنقذكم، وهذا دأبكم في سائر مجالسكم عندنا، وكل من جاءنا بحمد الله يثنى عليكم. والحمد لله على ذلك. وكتبت لكم بعد ذلك كتابين غير هذا أذكركم وأحضكم، ولكن يا إخواني معلومكم ما جرى منا من مخالفة الحق، وإتباعنا سبل الشيطان، ومجاهدتنا في الصد عن اتباع سبل الهدى.

والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا إلا اليسير والأيام معدودة؛ والأنفاس محسوبة والمأمول منا أن نقوم الله ونفعل مع الهدى أكثر مما فعلنا مع الضلال، وأن يكون ذلك الله وحده لا شريك له، لا لما سواه، لعل الله يمحو عنا سيئات ما مضى، وسيئات ما بقي.

ومعلومكم عظم الجهاد في سبيل الله؛ وما يكفر من الذنوب؛ وأن الجهاد باليد واللسان والقلب والمال؛ وتفهمون أجر من هدى الله به رجلًا واحدًا.

والمطلوب منكم أكثر مما تفعلون الآن، وأن تقوموا الله قيام صدق؛ وأن تبينوا للناس الحق على وجهه، وأن تصرحوا لهم تصريحًا بينًا بما كنتم عليه أولًا من الغي والضلال.

فيا إخواني الله الله. فالأمر أعظم من ذلك فلو خرجنا نجأر إلى الله في الفلوات، وعدنا الناس من السفهاء والمجانين في ذلك لما كان ذلك بكثير منا.

وأنتم رؤساء الدين والدنيا في مكانكم أعز من الشيوخ. والعوام كلهم تبع لكم. فاحمدوا الله على ذلك ولا تعتلوا بشيء من الموانع.

وتعلمون أن الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يرى ما

يكره، ولكن أرشدكم في ذلك إلى الصبر، كما حكي عن العبد الصالح لقمان في وصيته لابنه، فلا أحق من أن تحبوا الله وتبغضوا الله، وتوالوا لله وتعادوا الله.

وترى يعرض في هذا أمور شيطانية. وهي أن من الناس من ينتسب هذا الدين، وربما يلقي الشيطان لكم أن هذا ما هو بصادق؛ وأن له ملحظ دنيوي؛ وهذا أمر ما يطلع عليه إلا الله. فإذا أظهر أحد الخير فأقبلوا منه ووالوه. فإذا ظهر من أحد شر وإدبار عن الدين فعادوه واكرهوه؛ ولو أحب حبيب.

وجامع الأمر في هذا: أن الله خلقنا لعبادته وحده لا شريك له؛ ومن رحمته بعث لنا رسولًا يأمرنا بما خلقنا له، وبين لنا طريقه، وأعظم ما نهانا عنه الشرك بالله وعداوة أهله؛ وأمرنا بتبيين الحق وتبيين الباطل. فمن التزم ما جاء به الرسول فهو أخوك ولو أبغض بغيض. ومن نكب عن الصراط المستقيم فهو عدوك ولو هو ولدك أو أخوك.

وهذا شيء أذكركموه، مع أني بحمد الله أعلم أنكم تعلمون ما ذكرت لكم، ومع هذا فلا عذر لكم عن التبيين الكامل الذي لم يبق معه لبس، وأن تذاكروا دائمًا في مجالسكم ما جرى منا ومنكم أولًا، وأن تقوموا مع الحق أكثر من قيامكم مع الباطل فلا أحق من ذلك ولا لكم عذر؛ لأن اليوم الدين والدنيا ولله الحمد مجتمعة في ذلك فتذاكروا ما كنتم فيه أولًا في أمور الدنيا من الخوف والأذى واعتلاء الظلمة والفسقة عليكم. ثم رفع الله ذلك كله بالدين وجعلكم السادة والقادة، وذلك من آثار دعوة شيخ الإسلام، وعلم الهداة الأعلام.

ثم أيضًا ما من الله به عليكم من الدين، انظروا إلى مسألة واحدة مما نحن فيه من الجهالة قبل انتشار هذه الدعوة الإسلامية كون البدو تجرى عليهم أحكام الإسلام، مع معرفتنا أن الصحابة قاتلوا أهل الردة وأكثرهم متكلمون بالإسلام، ومنهم من أتى بأركانه، ومع معرفتنا أنه من كذب بحرف من القرآن كفر ولو كان عابدًا، وأن من استهزأ بالدين أو بشيء منه فهو كافر وأن من جحد حكمًا مجمعًا عليه فهو كافر، إلى غير

ذلك من الأحكام المكفرات، وهذا كله مجتمع في البدو وأزيد ونجرى عليهم أحكام الإسلام إتباعًا لتقليد من قبلنا بلا برهان.

فيا أخواني تأملوا وتذكروا في هذا الأصل، يدلكم على ما هو أكثر من ذلك. وأنا أكثرت عليكم الكلام؛ لوثوقي بكم إنكم ما تشكون في شيء فيما تحاذرون. ونصيحتي لكم ولنفسي، والعمدة في هذا أن يصير دأبكم في الليل والنهار، أن تجأروا إلى الله تعالى أن يعيذكم من شرور أنفسكم وسيئات أعمالكم، وأن يهديكم إلى الصراط المستقيم الذي عليه رسله وأنبياؤه وعباده الصالحون؛ وأن يعيذكم من مضلات الفتن، فالحق وضح وابلولج، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

فالله ترى الناس الذين في جهاتكم تبع لكم في الخير والشر، فإن فعلتم ما ذكرت لكم ما قدر أحد من الناس يرميكم بشرّ، وصرتم كالأعلام هداية للحيران، فإن الله ﷻ هو المسؤول أن يهدينا وإياكم سبل السلام.

والشيخ وعياله وعيالنا طيبين والله الحمد، ويسلمون عليكم. وسلموا لنا على من يعز عليكم والسلام. وصلى الله على محمد وآله وصحبه. اللهم اغفر لكاتبها ولوالديه ولذريته ولمن نظر فيه فدعا له بالمغفرة وللمسلمين وللمسلمات أجمعين.

ثم ذكر أنهم أجابوه برسالة ينبغي أن تذكر لما فيها من جواب حسن ثم ذكرها بعد ذلك.

❁ ثالثًا:

ولعل مما يفيد في الموضوع إيراد رسالة كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل وفاته لأهالي المغرب يوضح فيها ما يدعو إليه من إخلاص العبادة الله وتنقية التوحيد.. مما يفيد أن الجذور الحسنة والقناعة مهدت للاتفاق بين رأي الإمام والمولى إبراهيم بعد المناظرة بين علماء المغرب بزعامة المولى إبراهيم وبين علماء نجد برئاسة الإمام سعود بن عبد العزيز في حج عام ١٢٢٦هـ، وحصول القناعة بسلامة ما يدعا إليه، ونفي الشبهات عن الشيخ محمد مما يتبرأ منه هو والعلماء بمكة وهذا نصها:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأهالي المغرب)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى، ولن يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئًا وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد.

فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾[(٢)].

---

(١) يوسف آية ١٠٨.

(٢) آل عمران آية: ٣١.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾(٢).

فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا، وترك البدع والتفرق والاختلاف فقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾(٤).

والرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرًا بشير وذراعًا بذراع وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ هو أنه قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**». قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**». وأخبر في الحديث الآخر: أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان على مِثْل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

إذا عرف هذا، فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله والتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسمٰوات وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا الله. وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان

---

(١) الحشر آية: ٧.
(٢) المائدة آية: ٣.
(٣) الأعراف آية: ٣.
(٤) الأنعام آية: ١٥٣.

خالصًا كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝﴾(١).

فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصًا لوجهه وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾(٢). فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾(٣).

فلا يشفع أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ۝﴾(٥).

وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾(٦).

(١) الزمر آية: ٢، ٣.
(٢) يونس آية: ١٨.
(٣) الزمر آية: ٤٤.
(٤) البقرة آية: ٢٥٥.
(٥) طه آية: ١٠٩.
(٦) الأنبياء آية: ٢٨.

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[(١)].

فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[(٣)]. فإذا كان رسول الله ﷺ وهو سيد الشفعاء، وصاحب المقام المحمود، وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا بإذن الله وصفوة الخلق محمد ﷺ الله لا يشفع ابتداء بل: «**يأتي فيخر ساجدًا، فيحمده بمحامد يعلمه إياها. ثم يقال: ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تعط، واشفع تشفع. ثم يحد له حدًّا فيدخلهم الجنة**». فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء؟

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم.

وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج والصلاة عندها واتخاذها أعيادًا وجعل السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ وحذر منها كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئامٌ من أمتي الأوثان**». وهو ﷺ حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يوصل إلى الشرك فنهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم

(١) سبأ آية: ٢٢، ٢٣.

(٢) الجن آية: ١٨.

(٣) يونس آية: ١٠٦.

من حديث جابر، وثبت فيه أيضًا أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبرًا مشرفًا إلا سوَّاه ولا تمثالًا إلا طمسه.

ولهذا قال غير واحد من العلماء: يجب هدم القبب المبنية على القبور؛ لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ.

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم، وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾[1].

فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان كما قال تعالى:

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾[2]، وندعو الناس إلى إقام الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[3].

فهذا هو الذي نعتقد وندين الله به فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ما علينا.

---

(١) الأنفال آية: ٣٩.
(٢) الحديد آية: ٢٥.
(٣) الحج آية: ٤١.

ونعتقد أيضًا أن أمة محمد ﷺ المتبعين لسنته لا تجتمع على ضلالة وأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وصلى الله على محمد(١).

(١) أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب: المجموع ج٨ ص١١٠ ـ ١١٥ الرسائل الشخصية وانظر أيضًا الدرر السنية.

❊ رابعًا: دور الملك عبد العزيز في تصحيح الخطأ:

والملك عبد العزيز عندما دخل مكة عام ١٣٤٣هـ، بعد سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية، ثم بعد أن انظوت المدينة وجدة إلى لواء الدولة الجديدة، بقيادة الملك عبد العزيز، قامت أصوات أجنبية عديدة تتهمه، بأمور عديدة هو منها براء.. فقالوا: إن مذهبه وهابي، وأنه مذهب خامس، وانه امتهن قدسية الحرمين وأنهم ضربوا مسجد رسول الله ﷺ بالقنابل، وانتهكوا الأعراض، ولا يحبون النبي ولا يصلون عليه، وغير هذا من الأكاذيب التي تكررت من قبل، فجاء مجموعة من علماء أهل الحديث، وحجوا وزاروا مسجد الرسول، وبان لهم كذب تلك الإدعاءات، وقد عادوا إلى الهند، ليردوا على الإفتراءات وليبّينوا حقيقة ما رأوا، وعقدوا مؤتمرين، ردًا على مؤتمر لكنو، ومؤتمر دلهي، وتحدثت: الصحف التي في مقدمتها «أهل حديث» و«أخبار محمدي» و«زمنيدار»، عن حقيقة حال الملك عبد العزيز، وما أحدثه في الحرمين من إصلاحات، مع اهتمامه بأمن الحجاج وراحتهم، وسلامة عقيدته، وحماسته لدين الله.

ولكي يوضح للمسلمين حقيقة العقيدة التي هو متمسك بها، نراه يرسل الكتب، ويتحدث في وفود الحجاج سنويًا، وكان من كلامه، ما جاء في خطابه الذي ألقاه في القصر الملكي بمكة غرة ذو الحجة عام ١٣٤٧هـ الموافق ١١ مايو عام ١٩٢٩م بعنوان «هذه عقيدتنا» جاء فيه قوله:

يسموننا بـ«الوهابيين»، ويسمون مذهبنا «الوهابي» باعتبار أنه مذهب خامس، وهذا خطاء فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثّها أهل الأغراض.

نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد ابن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، جاءت في كتاب الله، وسنة رسوله الله، وما كان عليه السلف الصالح.

ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي، وأحمد وأبي حنيفة، وكلهم محترمون في نظرنا، ونحن في الفقه نأخذ بالمذهب الحنبليّ.

هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة، مبنيّة على توحيد الله ﷻ، خالصة من كل شائبة، منزهة عن كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعوا إليها وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب.

أما التجديد الذي يحاول البعض، إغراء الناس به، بدعوى أنه ينجينا من آلامنا، فهو لا يوصل إلى غاية، ولا يدنينا من السعادة الأخروية.

إن المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة.

إننا لا نبغي التجديد الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا، إننا نبغي مرضاة الله ﷻ، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله، فهو حسبه، وهو ناصره، فالمسلمون لا يعوزهم التجدّد، وإنما تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح. ولقد ابتعدوا عن العمل بما جاء في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فانغمسوا في حماة الشرور والآثام، فخذلهم الله جل شأنه، ووصلوا إلى ما هم عليه من ذل وهوان، ولو كانوا متمسكين بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، لما أصابهم ما أصابهم من محن وآثام، ولما أضاعوا عزهم وفخارهم.

لقد خرجت وأنا لا أملك شيئًا من حطام الدنيا، ومن القوة البشرية، وقد تألب الأعداء عليّ، ولكن بفضل الله وقوّته، تغلّبت على أعدائي، وفتحت كل هذه البلاد.

إن المسلمين متفرقون اليوم طرائق، بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومن خطل الرأي الذهاب إلى أن الأجانب هم سبب هذه التفرقة وهذه المصائب، إن سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب، يأتي أجنبي إلى بلد ما، فيه مئات الألوف، بل الملايين من

المسلمين، فيعمل عمله بمفرده، فهل يعقل أن فردًا، في مقدوره أن يؤثر على ملايين من الناس، إذا لم يكن له من هذه الملايين أعوان يساعدونه، ويمدونه بآرائهم وأعماهم؟؟!

كلا ثم كلا، فهؤلاء الأعوان، هم سبب بليتنا ومصيبتنا، إن هؤلاء الأعوان هم أعداء الله، وأعداء أنفسهم.

إذًا فاللّوم واقع على المسلمين وحدهم، لا على الأجانب، إن البناء المتين لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدّامون هدمه، إذا لم تحدث فيه ثغرة، تدخل فيها المعاول، وكذلك المسلمون، لو كانوا متّحدين متفقين، لما كان في مقدور أحد خرق صفوفهم، وتمزيق كلمتهم.

في بلاد العرب والإسلام، أناس يساعدون الأجنبي على الإضرار بجزيرة العرب والإسلام، وضربها في الصميم، وإلحاق الأذى بنا، ولكن لم يتم لهم ذلك إن شاء الله، وفينا عرق ينبض.

إن المسلمين بخير، إذا اتفقوا وعملوا بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ليتقدم المسلمون للعمل بذلك، فيتفقون فيما بينهم على العمل بكتاب الله، وسنة نبيه محمد ﷺ، وبما جاء فيها، والدعوة إلى التوحيد الخالص، فإنني حينذاك، اتقدم إليهم وأسير وإياهم جنبًا إلى جنب في كل عمل يعملونه، وفي كل حركة يقومون بها.

والله إنني لا أحب الملك وأبهته، ولا أبغى إلا مرضاة الله، والدعوة إلى التوحيد، ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك، وليتقفوا، فإنني أسير وقتئذ معهم، لا بصفة ملك أو زعيم، أو أمير بل بصفة خادم[(١)].

وفي ٢٣ المحرم عام ١٣٤٨هـ الموفق أول يوليو عام ١٩٢٩م جاء في أحد خطاباته: قد علمتم أن بعض الناس قد شدّ عن طريق الهداية، وتنكب الطريق المستقيم، ووقع في أحابيل الشيطان، بفعل الدسائس التي

(١) انظر المصحف والسيف جمع مجد الدين القابسي ص٥٥ ـ ٥٦.

يكيدها بعض من يدعون الإسلام، ويتظاهرون بالغيرة على الإسلام، والله يشهد أن الدين منهم براء، وبراء من أعمالهم، لقد قلت، وما زلت أقول: إنني لا أخشى من الأجانب، قدر ما أخشى من بعض المسلمين، فالأجانب أمرهم معروف، وفي الاستطاعة الحذر منهم، وفي الإمكان الاستعداد لصد هجماتهم، وإحباط دسائسهم، أضف إلى ذلك أنهم لا يقدرون على محاربتنا باسم الإسلام، أما بعض المسلمين، فهم ما زالوا يكيدون لنجد وأهل نجد باسم الإسلام والمسلمين، ويحاربون إخوانهم المسلمين، باسم الإسلام منذ عصور.

كانت الدولة العثمانية، وقد كانت أقرب الناس بصفتها دولة إسلامية، فحاربتنا باسم الإسلام والمسلمين محاربات شديدة، وأحاطت بنا من كل جانب، حاربنا مدحت باشا[(١)] من جهات القطيف والأحساء، وسيرت علينا من الحجاز واليمن قوات عظيمة، وكذلك سارت جيوشها من الشمال، فحاصرتنا من كل جانب للقضاء علينا وضربنا في الصميم، حاربتنا باعتبار «الوهابية» مذهبًا جديدًا، وإن ابن عبد الوهاب جاء ببدعة جديدة، وأن «الوهابيين» تجب محاربتهم، إلى غير ذلك من الأقوال المنمقة، التي انطلت على أصحاب العقول السذّج، من الدهماء، فانخدعوا واتعادوا لأقوالها، ولكن الله نصرنا عليهم.

وكذلك فعل غيرهم في هذا الزمان، فحوصرنا من كل جانب،

(١) الوالي العثماني أبو الأحرار مدحت باشا ابن حاجي حافظ أشرف أفندي التركي. كان يحسن العربية والفارسية. ولد في إسطنبول سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م، وكان أبوه قاضيًا. تقلب مدحت في الوظائف: حتى كان واليا على الدانوب وقضى على ثورات البلغار، ثم رئيسًا لمجلس شورى الدولة، ثم واليا على بغداد (١٢٨٦ ـ ١٢٨٨)، ثم تولى منصب الصدر الأعظم وأصدر الدستور العثماني ولذلك يلقب بـ«أبي الدستور العثماني». ثم عين واليًا على الشام. نُفي إلى قلعة الطائف بالحجاز لاتهامه بمحاولة قتل السلطان. وفيها بعد بضع سنوات قتل بأمر السلطان سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م. ينظر: الارتسامات اللطاف، لشكيب أرسلان، (ص٢٨٠)، وتاريخ العراق بين احتلالين، لعباس العزاوي، (٨/٧١).

وأرادوا القضاء علينا باسم الدين أيضًا، ولكن الله نصرنا عليهم، وجعل كلمته هي العليا، وقد نصرنا الله بقوة التوحيد الذي في القلوب، والإيمان الذي في الصدور، ويعلم الله أن التوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا، ولم نتخذ التوحيد آله لقضاء مآرب شخصية، أو الجر مغنم، وإنما تمسكا به عن عقيدة راسخة وإيمان قوي ولتجعل كلمة الله هي العليا(١).

ولا يسعني بعد ذلك الجهد المتواضع إلّا أن أسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والمعرفة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر المصدر السابق ص٥٨ ـ ٥٩.

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ الأعلام، للزركلي.
٣ ـ الأحاديث القدسية.
٤ ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري.
٥ ـ الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم.
٦ ـ الإمام محمد بن عبد الوهاب، لعبد الله بن سعد بن رويشد.
٧ ـ المعيار المعرب، لأبي العباس الونشريسي.
٨ ـ البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري.
٩ ـ تاريخ إفريقيا الشمالية، تأليف: شارلي اندري، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة.
١٠ ـ الحلل السندسية.
١١ ـ الفرق الإسلامية في شمال أفريقيا، تأليف: الفردبل ترجمة عبد الله بدوي.
١٢ ـ المغرب الكبير، للدكتور عبد العزيز سالم والدكتور جلال يحيى.
١٣ ـ الكامل، للمبرد.
١٤ ـ الوهابيون والحجاز، لمحمد رشيد رضا.
١٥ ـ رحلة سادلير، ترجمة أنس الرفاعي.
١٦ ـ الدرر النسية في الفتاوى النجدية، جمع سليمان بن سحمان.
١٧ ـ الإمام محمد بن عبد الوهاب، دعوته وسيرته للشيخ عبد العزيز بن باز.
١٨ ـ تاريخ نجد، للشيخ حسين بن غنام، تحقيق الشيخ عبد العزيز آل الشيخ والدكتور محمد أسد.
١٩ ـ الدولة السعودية، للدكتور عبد الرحمٰن عبد الرحيم.

٢٠ ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمٰن الجبرتي.
٢١ ـ مؤلفات ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جمع ونشر جامعة الإمام ـ الرياض.
٢٢ ـ محمد بن عبد الوهاب، لأحمد بن حجر آل طامي.
٢٣ ـ مصباح الظلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن.
٢٤ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر.
٢٥ ـ محمد بن عبد الوهاب، داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث، لمحمد بهجت الأثري.
٢٦ ـ البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد الطبعة الأولى.
٢٧ ـ محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم، تأليف مسعود الندوي.
٢٨ ـ السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد (مخطوط).
٢٩ ـ علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام.
٣٠ ـ مجلة كلية الآداب بفاس (شعبة التاريخ).
٣١ ـ جريدة، «عكاظ».
٣٢ ـ صحيفة (ISLAMIGA) الألمانية ـ مجلد ٧ عام ١٩٣٥.
٣٣ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير.
٣٤ ـ روضة الناظرين في مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان القاضي.
٣٥ ـ الترجمانة الكبرى.
٣٦ ـ رحلة بورك هارت لبلاد العرب.
٣٧ ـ أبجد العلوم لصديق حسن خان.
٣٨ ـ السير للشماخي.
٣٩ ـ الأزهار الرياضية للباروني.
٤٠ ـ ترجمة سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاوى سماحته لمعالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
٤١ ـ مجلة البحوث الإسلامية العدد (٦٥).

٤٢ ـ جذوة الاقتباس للشيخ أحمد المكناسي.
٤٣ ـ معالم الإيمان للدباغ.
٤٤ ـ أسد الغابة لابن الأثير.
٤٥ ـ الإصابة لابن حجر.
٤٦ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان.
٤٧ ـ الوافي بالوفيات للصفدي.
٤٨ ـ نفح الطيب للمقّري.
٤٩ ـ دليل الأعارب إلى علم الكتب وفن المكاتب ليوسف أسعد.
٥٠ ـ رسالة دكتوراه عبدالرحمٰن بدوي ومذهبه الفلسفي عرض ونقد د.عبدالقادر بن محمد الغامدي.
٥١ ـ تاريخ الطبري.
٥٢ ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي.
٥٣ ـ Lawrence, Adria K. ،2013). Imperial Rule and the Politics of Nationalism: Anti-Colonial Protest in the French Empire. Cambridge University Press. pp. 93-94.
٥٤ ـ نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي.
٥٥ ـ البدر الطالع للشوكاني.
٥٦ ـ سلك الدرر للمرادي.
٥٧ ـ المسك الأذفر لمحمود شكري الألوسي.
٥٨ ـ إتحاف أعلام الناس بجمال حضرة مكناس لابن زيدان.
٥٩ ـ الفكر السامي الحجوي.
٦٠ ـ الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة لابن زيدان.
٦١ ـ مشاهير علماء نجد لعبدالرحمٰن آل الشيخ.
٦٢ ـ علماء عرفتهم لمحمد المجذوب.
٦٣ ـ معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي.
٦٤ ـ تاريخ أفريقيا الشمالية لشارلي جوليان ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة.
٦٥ ـ تاريخ لِنجة لحسين بن علي الوحيدي.

٦٦ ـ البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي.
٦٧ ـ لسان الميزان لابن حجر.
٦٨ ـ موقع بابيليو الإلكتروني.
٦٩ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط لمحمد علي الجفري.
٧٠ ـ رواد النهضة الحديثة لمارون عبود.
٧١ ـ تراجم لنخبة من العلماء والمشايخ د.عبدالله بن عمر نصيف.
٧٢ ـ تتمة الأعلام لمحمد خير رمضان.
٧٣ ـ المستشرقون د.نجيب العقيقي.
٧٤ ـ مجلة جمعية تي إي لورانس المجلد (٣١) العدد (٢) ٢٠٢٢م.
٧٥ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.
٧٦ ـ السر المصون ذيل كشف الظنون لجميل المعظم.
٧٧ ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبدالرزاق البيطار.
٧٨ ـ أعلام العراق لمحمد بهجة الأثري.
٧٩ ـ لب الألباب لمحمد صالح السهروردي.
٨٠ ـ أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين لعبدالله الجبوري.
٨١ ـ نفحة البشام لمحمد القاياتي.
٨٢ ـ منتخبات التواريخ لدمشق لمحمد أديب الحصني.
٨٣ ـ كنوز الأجداد لمحمد كرد علي.
٨٤ ـ المنهل العذب للنائب الأوسي.
٨٥ ـ مختصر طبقات الحنابلة للشطي.
٨٦ ـ السحب الوالدة لابن حميد النجدي.
٨٧ ـ هدية العارفين لإسماعيل البغدادي.
٨٨ ـ القول الفصل في مولد خير الرسل للشيخ إسماعيل الأنصاري.
٨٩ ـ سلوة الأنفاس للكتاني.
٩٠ ـ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية للإمام أبي القاسم عبدالرحمٰن الخثعمي السهيلي.
٩١ ـ دليل مؤرخ المغرب لابن سودة.

المحتويات